بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ

شكر وتقدير

أبدأ بحمده تعالى الذي أعانني على كتابة هذا البحث وقيّض لي من أهل الفضل من يستحثني على الطباعة وتخفف عني من تكاليفها.

فإني أشكر رجل الأعمال الشيخ علي بلشرف وأهل فضل آخرين قد ساهموا وساعدوا. وأخص بالشكر كلاً من الأستاذ الأديب عبد المنعم محمد المكي، والأستاذ أبي الحسن علي السماني والأستاذ محمد صبري عبد الغفار، على جهودهم العظيمة في التصحيح والمراجعة اللذين بهما أخرج اللهُ هذا الكتاب في صورته الحاضرة.

جعله الله لي ولهم شفيعاً يوم يقول الإنسان «يا ليتني قدمت لحياتي» واجعله اللهم عملاً صالحاً من بعدنا ونفعاً لجميع المسلمين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

الرياض ذو القعدة ١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال تعالى: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾ [سورة يوسف].

تنص هذه الآية الكريمة على أن القصص في القرآن فيه فوائد: أنه يكون عبرة لأولى الألباب، وأنه مرجع[1] يفصل بين العباد في كل مايشجر بينهم، وأنه رحمة لما فيه من العدل والإنصاف في من حكم به، أو تحاكم إليه، أو عمل بما فيه، هذا بجانب إثباته أنه من عند الله وليس حديثاً يفترى.

للقرآن كنوز عظيمة نفيسة لا يعلمها إلا الله ـ تعالى ـ ولكن من فضله العظيم على الناس أنه يعلمهم مالم يكونوا يعلمون. وذلك حسب نواياهم عند إقبالهم إلى الذكر الحكيم، وذكر الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ أن هذا القرآن لا يفتح كنوزه إلا لمن جاءه لأجل العمل به.

قلت نعم ولكن الناس في نيل كنوز القرآن ليسوا سواء. فمن الناس من ينتفـع بالقـرآن في جانب اللغة وفنونها، والاستمتاع بجرس فواصله الـرفيع الـذي أعجـز العرب وبهرهم وأسكتهم، ثم لا ينتفع بمقاصده

(١) اعني الرد على الشبهات لا فروع الشريعة.

وهداه. ومنهم من ينتفع بالمقاصد فقط بشروح غيره ومنهم من تجتمع له جميع الفوائد.

ها نحن نفتخر بالكنوز التي كشفها لنا سلفنا المسلمون من قبلنا ونشهد لهم بالفضل لهذا الجهد وإكرام المولى لهم به، كما أن الله ـ تعالى ـ قد يكشف للذين من بعدهم كنوزاً لم يهتد إليها الأولون، وهاأنذا تحدثاً بنعمة الله أثبت فضل الله ـ تعالى ـ عليّ، أن قد وفقني في هذه الدراسة إلى معرفة بعض أسباب تكرار القصة في القرآن الكريم. **وانطلقت إلى بناء فكرة هذا البحث من قاعدة قررها الاستاذ سيد قطب** ـ رحمه الله ـ حين يرى أنه إذا وردت القصة في القرآن في أكثر من سورة فليس هذا تكراراً بل تجيء لتعالج انحرافاً يختلف عن ورودها في غير هذا الموضع أو أنها تأتي لتؤدي غرضاً دينيًا معيناً تختلف فيه الموعظة والعبرة.

قال سيد قطب: وكان من آثار خضوع القصة في القرآن للغرض الديني غير التكرار، أن تعرض بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض ومن الحلقة التي تتفق معه ـ فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها ـ وتارة تعرض كاملة ـ وتارة يكتفي ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا وذاك، حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذاك، ذلك أن الهدف التاريخي لم يكن من بين أهداف القرآن الأساسية كالهدف القصصي سواء، فسارت القصة وهدفها الأول هو الهدف الديني .هـ. التصوير الفني في القرآن صفحة ١٦٢.

وقد قال الإمام الزركشي ـ رحمه الله ـ من قبل مثل قول الأستاذ سيد قطب إلا انه في التفصيل اختلف في المقصد حيث قال في البرهان الجزء الرابع صفحة ٣٧: إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً. ألا ترى أنه ذكر الحية

في عصا موسى ـ عليه السلام ـ وذكرها في موضع آخر ثعباناً؟! أ. هـ .

فانظر رحمك الله قول الزركشي في تفصيله (ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى ـ عليه السلام ـ وذكرها في موضع آخر ثعباناً) وهذا يبدو لي غير الهدف الرئيسي، لذا لم اعتمد تقديم قول الزركشي رغم سبقه في ذلك الإسهام العظيم.

وكذلك قال ابن قتيبة في المشكل قولاً في التكرار:

(وكانت وفود العرب ترد إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فيقرؤهم المسلمون شيئاً من القرآن فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذا القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير) . أهـ. مشكل القرآن صفحة ٢٣٤ .

ولما نظرت في القصص القرآني محققاً هذه القاعدة، ناظراً ومثبتاً توافقها للقصة المتكررة وجدت أنها توافق أكثر القصص إن لم يكن كله. وجرياً على هاتين القاعدتين الجليلتين صنعت هذا البحث المتواضع، فمثلاً أقول تكررت قصة موسى ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم أكثر من ست وعشرين مرة كقصة كاملة، نجدها في طه جاءت تعالج مشكلة الداعية المنذر ومايعانيه من سخرية المنذرين من قومه الذين أرسل اليهم، وأن الله يسلي نبيه عليه الصلاة والسلام فيقول (طه) ومعناها ياسيد كما جاءت به الشواهد:

إن السفاهة طه من شمائلكم لا قدس الله أرواح الملاعين

فمعنـاهـا ياسيد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فاصبر ولا تعجل ولا تتضجر، واصبر كما صبر أولو العزم ، فإني قد اصطفيتك من خيار ولد آدم كما أنك تسمى بالأمين وإني أرسلتك إلى قوم يعترفون بقدرك وشرفك، فهل اطلعت على قوافل الزمان ورأيت من أرسلنا من رسلنا وكيف نالتهم السخرية إذ يرى أتباعهم أنهم أراذل بادي الرأي ! !

(وهل أتاك حديث موسى ؟ وسأذكر مكانة موسى حسب عرف الفراعنة وأن له ذنباً عليهم وكذلك رحلته الطويلة ليعود بعدها فيبتليه الله بالذهاب إلى فرعون ويخبره بأنه رسول الله إليه .

فحينئذ تهون مصيبة صاحب المصيبة حين يعرض عليه خطب أعظم مما هو فيه وكذا نجدها في سورة السجدة توصى بالصبر واليقين لمن أراد التمكين لقوله جل وعلا ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾ . [السجدة : ٢٤].

وكذلك من القصص المكرر قصة عاد وثمود، أحياناً يرد في جدال الملأ منهم مع الـرسـل قائلين ـ ﴿**أجئتنـا لنعبـد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا**﴾ . الآية وفي موضع آخر قالوا : ﴿**إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً**﴾ وفي موضع آخر: ﴿**قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة**﴾ .

ففي **الآية الأولى** أثبتوا وجود الله ولكن خطأهم أن عبادة الله وحده لا توصل إليه فوقعوا في كفر الوسطاء، وفي **الآية الثانية** أتاهم الضلال من طعنهم في الداعية وأنهم يرونه يدعى أمرا أكبر منه وأنه كذب على الله تعالى ﴿**إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا**﴾ . . وفي **الثالثة** يزعمون أن لو كان هذا الأمر بهذه الدرجة من الخطورة وأن أعمالهم تلك من المكفرات لأرسل الله إليهم ملائكة بهذه الدعوة الغريبة . وأحياناً تجد لهم مقالة جحود وعناد

وبطر ﴿**وقالوا من أشد منا قوة**﴾ . أو ﴿**فأتنا بما تعدنا**﴾ . الآية .

وتفسير هذا التناقض، أعني بالتناقض الذي يقعون فيه أحياناً بقولهم ﴿**لو شاء ربنا**﴾ أو ﴿**إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا**﴾ يثبتون لله الأمر والمشيئة ثم يقولون بعدها ﴿**فأتنا بما تعدنا**﴾ أو قولهم ﴿**من أشد منا قوة**﴾؟ فإن شئت قلت: إنه في كل مرة ترد القصة في سورة معينة تجد أقوال طائفة من ذلـك المجتمع، والمتكلمون هم قادة الأحزاب ودعاة الباطل، فكل صاحب حزب يتمسك بما عنده من باطل ويصبغه بشيء من الحق حتى يزخرفه بالقول الغرور فيحسبه الجاهلون حقاً. وإن شئت قلت إن تلك المجتمعات تختلف درجات الضلال فيها، فمنهم الجاحد ومنهم الوجودي الذي فسدت فطرته ولا يؤمن بمعاد ولا حساب كالذي يقول ﴿**فأتنا بما تعدنا**﴾ ومنهم العلماني[1] الذي يقول: ﴿**ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم**﴾ أو ﴿**أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء**﴾ . ؟؟ أو قول إمام الطغاة ﴿**إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد**﴾ ، كما أني أزعم أن كل مجتمع جاهلي فيه بقية دعوة من الدعوات يتمسك المنتفعون من أدلتها فيسوقون العمومات والمغـالطات ليدحضوا بها الحق الذي يجيء به الدعاة وهذا الضرب من الناس هم علماء السوء ونجد ذلك بعد تحذير الحق للخلق من مصارع الغابرين كاشفاً لتضليلهم المتنوع وضلالهم المتشكل ﴿**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون**﴾ .

وإن شئت قلت هي مجتمعات جاهلية متناقضة أحياناً تثبت قدرة الله

---

(١) مدار العلمانية هو فصل الدين عن الدولة .

وأحياناً يغلب عليها الهوى فتنسى أمرها فتجحد لتغلب خصومها.

وقد نجد القصة جاءت بنفس المضمون والمعنى الذي جاءت به في موضع آخر، لكنها اختلفت في ظلالها وفي فواصلها، قد تجيء مثلاً بظلال الرحمة والترغيب دون ذكر البطش كما في سورة طه، وقد تجيء في سورة أخـرى تتحدث عن مصارع الغابرين وسوء المصير كسورة القمر وتلقي الرعب في قلوب السامعين. وتجيء في موضع آخر تكشف عن جدال القوم والرد على شبهاتهم كما هو في الأعراف والأنعام كقوله تعالى: ﴿**لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا**﴾.

وكذلك قد يتراءى أن السامعين للقصص القرآني مختلفون في طباعهم كالذين يسمعون الترهيب فتخشع قلوبهم كقوله تعالى: ﴿**إن لدينا أنكالا وجحيما**﴾. ونوع آخر إذا سمع الترغيب استجاب كما ورد في تفسير ابن كثير في قصة علي الأسدي حين سمع قوله تعالى: ﴿**قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**﴾. [الزمر: ٥٣]. فأسلم علي رضي الله عنه.

ونوع آخر من الناس يسمع القصة في القرآن وفيها اعتداء القوم على رسول يدعوهم لصلاحهم ولا يرجو منهم جزاءً ولا شكوراً كما جاء موسى - عليه السلام - لفرعون يدعوه إلى الحق مبيناً له الدعوة بعبارات الاحترام فما كان من فرعون إلا أن قال لموسى: ﴿**إني لأظنك ياموسى مسحوراً**﴾. فالسامع لهذه القصة كلما سمع قصة موسى وعدوه تذكر تلك الحادثة وذاك

الاعتداء فتعاطف مع موسى ـ عيه السلام ـ وهكذا في جميع مواقف النبيين ـ عليهم السلام .

وقد قسم الفخر الرازي السامعين للقصة في القرآن تقسيماً سيرد إن شاء الله بعد هذا التقدم. إذ قسم الناس في سماع القصص القرآني إلى ثلاثة أقسام: **أقوياء كاملين وعوام ثم مشاغبين**، إلا انه لم يأت بأمثلة لذلك كما مثلت له من سور القرآن فيما سبق ولكني أظن أن تقسيمي الذي أزعمه ربما يدخل في تقسيمه رحمه الله .

وفي أحيان كثيرة أجد في تكرار قصة تشابها في الألفاظ والموقف باختصار لكن أجد فائدة ظاهرة أو علة ضلال في القوم. لأن بعض الأقوام يرد سبب ضلالهم في القصة كقوله تعالى: **﴿واستكبر هو وجنوده﴾**، فظاهر الآية هنا أن القوم لم يضلوا إلا بسبب الكبرياء.

أما الإخبار عن المكذبين دون تفصيل كخبر عاد وثمود وفرعون في سورة الفجر، فلم يزد الخبر عن ذكر قوة القوم وإكثارهم في الفساد وأنه بفسادهم وطغيانهم ذاك قد صب عليهم ربك سوط عذاب.

فهذا النوع الموجز من الأخبار في القرآن قال فيه بعض العلماء كالباقلاني: إن القصص القرآني في السور المكية كان موجزاً لتشويق العرب، ثم بعدها جاء بالتفصيل. وقال الباقلاني أيضاً: القصد من التكرار للقصص هو الإعجاز كما سيأتي في قوله رحمه الله. وكذلك سنذكر إن شاء الله قولاً للجاحظ فيما بعد وهو يحمل المعنى نفسه وقد يجيء أقوام من بعدنا يكشفون فوائد عديدة في أسباب تكرار القصة في القرآن

الكريم ، وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده ﴿**والله ذو الفضل العظيم**﴾ .

وصلى الله على رسوله وعلى آل البيت الطاهرين والصحابة المهتدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

يوسف حامد الفكي

الرياض رجب ١٤١٢هـ

لمحات عن نشأة اللغة العربية ونضجها قبل البعثة

بما أن مشركي العرب هم من ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - إلا أن بينه وبينهم قرونا كثيرة. وهذه مما يجعل فارقاً كبيراً بين العربية التي تكلم بها إسماعيل - عليه السلام - والعربية التي يتحدث بها عرب الجزيرة، وإن كان هنالك من المؤرخين من نسب بعض الأشعار العربية إلى عاد وثمود. وسواء كانت عاد وثمود تتكلم العربية أو القرون التي بين القبائل العربية قبيل البعثة كذلك، فإن لغتهم تختلف عن بعضها لمرور الأزمان وتقادم الأيام فهذا ابن سلّام الـجُمَحي يروي لنا عن ذلك في مقدمة فحول الشعراء قائلاً: «وأخبرني يونس، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: العرب كلها ولد إسماعيل، إلا حمير وبقايا جرهم. وكذلك يروى أن إسماعيل بن إبراهيم جاورهم وأصهر اليهم. ولكن العربية التي عنى محمد بن علي، اللسان الذي نزل به القرآن، وما تكلمت به العرب على عهد النبي - ﷺ - وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا»(١).

ويزعم أكثر المؤرخين أن اللغة العربية قد تأثرت بما حولها من اللغات في غابر الأزمان كما أشار ابن سلام - رحمه الله - وقد كان من شأن عرب الجاهلية قبيل البعث أن الله تعالى قد حبب الكلمة إليهم وفطرهم على تجويدها ودقتها وجعل متعتهم في تصاريف فنونها وأنه لا يلحن فيها الشيخ ولا الصبي ولهذا يمكننا القول بأن الله انتقاها ورعاها في مواجهة ذلك الهجين من اللغات واختلاط البادية بالحضر. فأصبحت اللغة تكتسب

(١) مقدمة كتاب فحول الشعراء لابن سلام.

قوتها وتأخذ من بقية اللغات حتى اتسعت وعظمت مفرداتها مع سرعة سير الصحوة الأدبية قبيل البعثة.

وفي هذا يقول الدكتور عمر فروخ:

«إن اللغة العربية التي نكتب بها ونتكلم هي نتاج العصر الجاهلي فهي من أجل ذلك لا تزال تدل بمفرداتها على أوجه الحضارة الجاهلية والقاموس العربي اليوم ليس القاموس العربي وحده، بل هو القاموس السامي أيضاً، ذلك لأن علماء اللغة جمعوا في كتب اللغة وفي القواميس خاصة جميع ما سمعوه دائراً على الألسنة في البلاد التي سمعت فيها العربية إن كثيراً من الألفاظ التي يقال فيها إنها غريبة يجب أن تكون بقايا اللغات البابلية والكلدانية والحميرية والآرامية وسواها.[١] صفحة ١٩.

وذكر الدكتور فروخ أيضاً أن اللغة العربية قبيل ظهور الإسلام قد بلغت في سعة قاموسها وتمام تركيبها دقة في التعبير رفيعة وبراعة في النثر والشعر عظيمة وإحكاماً في البلاغة أعظم.

وذكر أهل العلم أن الله ـ تعالى ـ حبب للعرب صناعة الكلام وأفانينه قبل البعثة، وحبب اليهم في بداية الأمر الخطابة بجزالة اللفظ وسلاسة الأسلوب أعني أنهم بدأوا بالنثر وتتطورت الصناعة وارتفعت الهمم لصناعة أرفع وأرقى؛ المقطعات والمطولات من القريض المحكم.

والفصاحة لم تكن محصورة في قبائل معينة بل غلب وجود الخطباء والشعراء على جميع القبائل. وسرت الحكمة في عروق الجميع حتى إذا (.. انتهى إليهم من تراث البيان العربي قدر عظيم، وحباهم الله من

(١) تاريخ الجاهلية صفحة ١٩.

الملكـة قدراً عظيماً فنحـوا بهذا الإيقـاع والنغم المجرد إلى محض الاتقان والإحكام فيما غروا به من السجع والازدواج)[١].

قال أحمد الهاشمي في جواهر الأدب:

«ويشعر الإنسان بطبعه أن الشعر متأخر في الوجود عن النثر وإن كانت واسطة بين النثر الشعر، فليست إلا السجع لما فيه من معادلة الفقر والتزام القافية والميل إلى التغني به، فكان من المقطعات والأراجيز الصغيرة يحدون بها الإبل ويعددون بها المكارم، ثم لما تمت ملكة الشعر فيهم، واتسعت أغراضه أمامهم نوعوا الأوزان وأطالوا القوافي وقصدوا القصيد (١/٣٤٢).

أريد أن أقـول إن العـرب قد حببت إليهم الكلمـة. ليتوحد ميدان التحدي يوم يجيء الرسول ـ ﷺ ـ كما كان في عهد عيسى ـ عليه السلام ـ ميدان التحدي هو الطب فكانت معجزته في أن يبرىء الأكمه والأبرص. وفي زمـان موسى كان السحر فجاءهم بما يشبه فنهم فغلبهم. ولا تبعد الثورة الشاعرية عند العرب أكثر من قرن ونصف أو قرنين قبل البعثة كما ذكـر الـبروفيسور عبدالله الطيب في كتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، فكان ميدان التحدي هو الفصاحة والبيان، فتحداهم القرآن بالفصاحة والبيان.

شاء الله أن يحمي وطيس الكلمة في الجزيرة و (.. تمكن الشعر من نفـوس العـرب وقـوة سلطانـه فيهم فالبيت من الشعـر يرفـع القبيلة أو

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها صفحة ٧٩٤ للبروفسيور عبدالله الطيب.

يسقطها، والبيت من الشعر يضع الرفيع ويرفع الوضيع)[١].

وقد كان لأولئك العرب أسواق ومواسم للشعر يلقى فيها ويستمع إليه.

والقصائد المقدمة تعرض لحكم قدير لا تفوز عنده القصيدة حتى تجتمع فيها أسمى مقومات الشعر. وكانت لغة قريش هي المعيار الذي يقاس به ويقاس عليه. وكان ذلك باعتراف القبائل وهذا لا ريب أنه ينشر في بقية القبائل الدقة ومحاكاة لغة قريش وقد كانت القبائل تتفاخر بعطائها وكيفية أداء شاعرها.

وكما ذكرت آنفاً إن مثل هذا التنافس يبعث الرقي في الكلمة العربية ويوقد شعلة الصحوة الشاعرية عند العرب، وقد كان ذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولا.

حتى إذا أخذت اللغة زخرفها وازينت نزل القرآن الكريم يدعو العرب إلى دين لن يقبل الله غيره موضحاً مصارع الغابرين ومصير المعاندين وجزاء المؤمنين المتبعين مقدماً لهم الدعوة إلى ذلك الدين في إناء من جنس آنيتهم التي يعبرون بها عن مقاصدهم. وجاء القرآن يعرض الموعظة عليهم في قالب منظوم رفيع أعجز فصحاءهم وبهر خطباءهم، لبلاغته وإحكام لفظه.

لقد وجد العرب في لغتهم متعة أغنتهم عن التماس فن غير الشعر كما صنع اليونان الأساطير والموسيقى، والفراعنة النحت وغير ذلك من أنواع التراث الحضاري التي تخفف من سآمة النفس في زحمة الحياة اليومية المكرورة.

---

(١) الإعجاز في دراسات السابقين صفحة ١١٧ لعبدالكريم الخطيب.

قال الأستاذ عبدالكريم الخطيب:

(ولما جاء الإسلام بالقرآن الكريم وببلاغته المعجزة استطاع أن يخفت صوت الشعر فسكنت حمياه في الصدور بعد أن امتلأ بمشاعر العقيدة الدينية، وكان في آيات الكتاب الحكيم وترتيلها على النحو الذي ترتل به ارضاء كامل لحاجة القلب وخلجات الضمير، بما في آيات الكتاب من ألوان العواطف الإنسانية: من أمل وإشفاق.. ورجاء وخوف.. وتبشير وإنذار، ووعد ووعيد، وحب وبغض، وسلام وحرب إلى غير ذلك مما ضم عليه الكتاب الكريم وحوته آياته وسوره)[١] الإعجاز صفحة ١٢٠.

إذ تعتبر العرب (أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في درجة البيان متفاوتة ودرجاتها في البلاغة مبتاينة غير متساوية، فمنها البليغ الرصين ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز الطلق الرسل)[٢].

وكان الخطيب عند العرب إذا استهل حديثاً أشار إلى قوته وبطشة ثم أعلن حلمه وتنازله عن البطش إذا وجد الحل بما يرى أو بما يوافق السلام وكفالة الحق لأهله. أو ربما بدأ يرغب ثم يرهب بعدها، هذا مع محافظة سبك المعاني ودقة الألفاظ وسلامة المضمون، فبهذا جاء القرآن مبيناً دعوته للسامع العربي. حتى أن البعض قالوا إن هذا إلا سحر لأن في ظاهره شبه بكلامهم لكن مضمونه عظيم وموضوعه كريم، ذلك أنه لم يوجه أي من المعاندين له من العرب من أساطين اللغة أو خطبائهم نقداً أو قدحاً في آية

---

(١) المصدر السابق صفحة ١٢٠.

(٢) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي صفحة ١٠٢ المجلد الثاني.

من آيات القرآن الكريم، بل اعترف الكثيرون منهم بفصاحته ودقته في الإخبار عن مصارع الغابرين وتوصيل الأمر والنهي إليهم. وسنورد إن شاء الله بعض أقوالهم.

وأريد هنا أن أثبت فضل الله على هذه اللغة العربية إذ جعلها تبلغ شباباً ليس بعده مشيب، أعنى أن الله كتب لها النضوج قبيل البعثة، بعد أن مرت بالمرحلة التي مرت بها اللغة الانجليزية اليوم وسأمثل لذلك.

أما بعد نزول القرآن فقد حكمها وقيدها بعد أن رفعها واستقرت على قواعد لن تتغير أبداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فالنضج الذي جعلها تستوي على سوقها قد كساها ثوباً لا يبلى وجعل حسنها دائماً وسحرها. حتى أن أئمة النحو إنما استقرأوا قواعدهم من لغة القرآن وآيه. كما أن كل الجهود التي بذلت لحفظ اللغة كانت خدمة للقرآن كما ذكر الرافعي في إعجاز القرآن.

قال العقاد في كتابه اللغة الشاعرة:

(ولكن هذه اللغة على قدمها تتجدد لها مزايا متعددة كلما تقدمت الدراسات الحديثة في العلوم اللسانية والصوتية، ويرجع الباحثون إلى خصائصها فيكشفون جانب المزية فيها وجانب الرجحان منها على غيرها، بعد أن كان فريق منهم يحسبها شذوذاً يدل على النقص أو يدل على جمود في التطور على سنة اللغات الشائعة بين لغات الحضارة الكبرى)[١].

هذا ونزول القرآن أثرى اللغة وزاد في سعتها فهي تستوعب أضعاف ما تستوعبه اللغات غيرها ولا تتغير لأن معينها لا ينضب ولو أن ما في الأرض

(١) اللغة الشاعرة عباس محمود العقاد صفحة ٢٦.

من أديب وكاتب أخذوا منها مازادها إلا اتساعا وجمالاً على جمالها، وأضفى إلى شبابها نضارة وسحرا. وكما أنها وسعت ألفاظها من الأعجمية فعربتها حتى إنها لا تخفى على الصبي العربي يوم جاء هذا الدين للبشرية في أول الأمر.

أما غير اللغة العربية من اللغات فلم تزل في سفال وانتقال من لفظة إلى أخرى. ذلك بأنها ضعيفة أمام أعاصير الزمن ورغبات البشر في استثقالهم لنطق كثير من الكلام حتى لجئوا إلى تغيير لغتهم على مر القرون. فإذا أخذنا مثالاً من اللغة الإنجليزية مع جلال قدرها وعراقتها عند أهلها، وجدنا نطق كثير من كلماتها يتغير كلما دارت عليها عجلات الزمان فمثلاً يقول شاعرهم شكسبير:

Shall I compare thee to a summer's day
Thou art more lovely and more temperate
Rough winds do shake the darling buds of May
And Suummer's lease hath all too short date

ونلحظ أن الكلمات التي تحتها خط hath, Thou, Art قد تغير نطقها ورسمها اليوم فمثلاً Thou : you وكلمة Art : Are وكلمة hath : has

ونقصد تغييرها في الرسم والنطق مع بقاء المعنى. وكان هذا حال العربية قبل نزول القرآن كما ذكرت ولكنها نضجت قبيل النزول واستوت، أما اللغات الأخرى كالإنجليزية فهي الآن في مرحلة اللغة العربية قبل القرآن ولا ندري متى تستوي وترسو مركبة مفرداتها التي تتغير من حين لآخر.

أقوال بعض العلماء في التكرار:

قول الجاحظ في كتاب الحيوان:

(ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام). أ. هـ.

قلت هذه القاعدة التي قررها الجاحظ توجد في القصص القرآني المكي الذي يخاطب العرب، كقصة عاد وثمود وفرعون في سورة الفجر نجدها بإيجاز كما نجدها مطولة في الكلام عن بني إسرائيل أو في خطاب الحق لهم مع انحرافاتهم وعنادهم المتكرر مقابل النعم المختلفة.

قول محمد الخطيب الإسكافي:

(للأنبياء مقامات مع أممهم، يكون فيها الإعذار والإنذار، ويرجع فيها عوداً على بدء الوعد والوعيد، ولا يكون دعاؤهم إلى الإيمان بالله؛ ورفض عبادة ماسواه في موقف واحد بلفظ واحد لا يتغير، بل الواعظ يفتن في مقاله، والجاحد المنكر تختلف أجوبته في مواقفه.

فإذا جاءت المحكيات على اختلافها لم يطالب باتفاقها، لأنه قال لهم مرة باللفظ الذي حكى، ومرة بلفظ آخر في معناه كما ذكر وكذلك الجواب يرد من أقوام يكثر عددهم ويختلف كلامهم ومقصدهم. وصدق الخبر يتناول الشيء على ما كان عليه) (صفحة ١٢٣) درة التنزيل وغرة التأويل ـ محمد الخطيب الإسكافي.

قول الباقلاني:

إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً ـ من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة.

وقال الباقلاني في موضع آخر: التكرار مقصود ليفهم وتقول العرب: الكلام إذا تكرر تقرر.

حقاً قول الشيخ، بل إن اجتمع أدباء الجن والأنس وتعاونوا على أن يكرروا قصة واحدة بمعنى واحد وبألفاظ مختلفة لألبسوا صنيعهم ثوب الرداءة وبللوه بماء السآمة وأثقلوه على المذاق وعسروا مروره على المسامع.

قال عبدالكريم الخطيب في القصص القرآني:

فالمعروف عن التكرار أنه إذا وقع في كلام الناس نزل بالكلام عن درجة البلاغة، وأخل بمقتضيات الفصاحة وكسا الكلام برودة وسماجة. (صفحة ٤١٣)، لكن الخطيب عقب هذه العبارة ذكر أن كل تكرار يكسو مادته برودة وسماجة عدا القرآن فإنه من عند العليم الحكيم.

قول الفخر الرازي في التفسير الكبير:

فسر الآية:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

معناه ادع الأقوياء الكاملين إلى الدين الحق بالحكمة وهي البراهين القطعية اليقينية، وعوام الخلق بالموعظة الحسنة، وهي الدلائل اليقينية الإقناعية الظنية، والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن الأكمل. (ج٢/ صفحة ١٣٩).

ويفهم من قول الإمام الرازي أن قصص القرآن جاء حافلاً بألوان المخاطبة منها الترهيب والترغيب حسب معادن الناس.

قول الزركشي في البرهان:

إنما كررها ـ أي القصة لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر أحدها: أنه

أي القرآن ـ إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً. ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى ـ عليه السلام ـ وذكرها في موضع آخر ثعباناً؟ (الجزء الرابع صفحة ٣٧).

سبق التعليق على قول الإمام الزركشي في صدر الكلام وأنه يتفق مع قاعدة الأستاذ سيد إلا أنه اختلف معه في التفصيل في العبارة الأخيرة ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى ـ عليه السلام ـ وذكرها في موضع آخر ثعباناً؟ إن سيد قطب يقول تختلف الموعظة وتختلف العبرة ولم يقل تختلف العبارة. كل ماكتب من كتب وما قيل من أقوال عن تكرار القصة في القرآن إنما هي آراء واجتهادات تحتمل شيئاً من الصحة ولكن العلة الأساسية هي تثبيت الرسول ـ ﷺ ـ **﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾**.

رحم الله الزركشي وسيّداً وجميع أشياخنا الذين قدموا لنا هذا الخير وهدانا الله بهم إلى هذا النور.

قال الأستاذ عبدالكريم الخطيب:

إن حتمية التاريخ أمر يشهد له القرآن الكريم أبلغ شهادة في هذا القصص القرآني الذي ماجاء إلا ليكون عبرة وعظة يجدها أولو الألباب ويتلقاها أولو النهى حين يقاس الحاضر بالماضي وحين ينظر إلى ما سيكون على ضوء ماكان فإن التاريخ يعيد نفسه كما يقولون:

ألا إنما الأيامُ أبناء علة
وهذه الليالي كلُّها أخوات

وماجاء هذا القصص القرآني إلا ليرفع لأبصار الناس وبصائرهم شواهد من حياة الإنسانية تتشابه فيه مواقفها وتتماثل فيه طوائفها فالناس

هم الناس تحكمهم نوازع وتتحكم فيهم طبائع وينتظمهم وجود تجري عليه سنة الخالق.

﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾.

فإني أرى في ثنايا كلام الأستاذ عبدالكريم الخطيب وتحليله لحياة البشر في القصص القرآني أن الجاهلية دورة من دورات التاريخ. وأن الانحرافات متكررة، لذا تجد في القرآن الكريم تعقيباً على مصرع الغابرين وتحذيراً للسامين من دأب أولئك المعذبين. وكذلك نجد الطوائف متكررة والمواقف متشابهة والأقوال متطابقة والخواطر تتبادل في الباطل. كما أننا نجد مواقف الدعاة وثباتهم كذلك تتشابه في مواجهة الجاهلية وأهل السلطان وأصحاب الشهوات، فيثني القرآن على من استفاد من نعمة العقل في تحريك البصيرة واعتبر ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾. كتابه القصصي القرآني في مفهومه ومنطوقه صفحة (١٤٢).

قصة ثمود
سورة الأعراف

- ثمود قوم صالح .
- أمرهم بالتوحيد .
- الخلافة لثمود من بعد عاد .
- الكبراء هم الذين تبنوا المعارضة .
- الضعفاء هم الذين استجابوا .
- الكبراء أعلنوا كفرهم وضيق أفقهم وصدورهم عن الحوار.
- نزول العقوبة لمن يكفر بالآيات التي يطلبها .

قصة ثمود

سورة الاعراف

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

الفوائــــد:

- إن ثمود يعرفون الكثير عن الأمم التي سبقتهم كقوم عاد وأنهم أول من خلف تلك الامة ويعرفون كذلك أسباب هلاكهم.
- الكبراء قادة الضلال هم أعداء الدعوة لتعارضها مع أهوائهم المنحرفة.
- إن قوم صالح أقسام «المستضعفون» قسمان: قسم رضي وتابع أو ساكت لا يهمه الأمر وقسم مؤمن. وقسمُ مستكبر.

قصة عاد
سورة الأعراف

- هود أرسل إلى قوم عاد.
- أمرهم بالتوحيد.
- إيقان قوم هود أن التوحيد هو فعل وترك.
- جحودهم ماعرفوا من الحق.
- استخفافهم بالوعيد أوجب عليهم العذاب.

قصة عاد

سورة الأعراف

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ إلى قوله: إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

الفوائــــد:

- دعـوة الرسل واحدة ﴿**أن اعبدوا الله مالكم من الله غيره**﴾. وذكرها الحق في سورة النحـل ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾. [سورة النحل، آية: ٣٦].
- بيان أن موكب الرسل الكرام عليهم السلام معلوم عند البشرية بدءًا بعاد إذ قال لهم رسولهم ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة**﴾.
- ﴿**قـالـوا اجئتنـا لنعبد الله وحده**﴾ الآية تدل على معرفتهم لله تعالى وعبادته لكنهم لا يرون صحة العبادة وأنها توصله بالله مباشرة مالم يكن هنالك شفعاء ليقربوهم إلى الله زلفى وهذا الاقتراح وذاك الاعتراض معا هما من صنع قادة حزب الكفر وعلماء السوء الذين عندهم شيء

من العلم لكن طمس الله بصائرهم فأشركوا به مالم ينزل به سلطانا، فأضلهم الله على علم.

- إن أغلب أعداء الدعوة من رؤوس الكفر هم الكبراء وأهل السلطان وأما أتباع الرسل فهم الضعفاء كما جاء في السيرة عن قصة أبي سفيان في حديثه لهرقل. ومن التنزيل ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين**﴾.

قصة عاد

سورة الأحقاف

قال جل شأنه : ﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ
مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا
أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ
اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا
مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ
الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ
وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

الفوائـــد :

- بيان أن منازل عاد (بالأحقاف) في بلاد اليمن .
- إن عادا قد انـذرتهم الـرسل قبل هود ومن بعده وإن سلسلة الرسل والنذر لم تنقطع عنهم .
- أن عادا برغم كفرهم إلا أنهم يعرفون معنى لا إله إلا الله لذلك لما قال

لهم ﴿ألا تعبـدوا إلا الله إني أخـاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾. اي تصرفنا عنها، ولا إله إلا الله تعني توحيد الله ونبذ عبادة ماسواه.

عـاد وثمـود

سـورة فصلـت

﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴿١٣﴾ إذ جاءتهم الرسل
من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا
بما أرسلتم به كافرون ﴿١٤﴾ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد
منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون
﴿١٥﴾ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴿١٦﴾ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ﴿١٧﴾ ونجينا الذين
آمنوا وكانوا يتقون ﴿١٨﴾ ﴾ .

الفوائـــــد :

- إشارة إلى أن مشركي العرب كانوا يعرفون عن أخبار مصارع عاد وثمود والخطاب ﴿**فإن أعرضوا**﴾ لرؤوس الكفر في قريش ومعانديهم ، وثبت في السيرة أن الوليد بن المغيرة تسمع لقراءة النبي ـ ﷺ ـ فسمعه يقرأ هذه الآية فخاف وحرض المشركين على عدم السماع للقرآن مخافة أن يسحرهم ويفتنهم عن دين أجدادهم فنزلت الآية : ﴿**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**﴾ . كما ثبت عن الوليد حينما سأله الملأ من قريش ماذا فهمت من قراءة صاحبنا قال مافهمت غير قوله : ﴿**فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة**

عاد وثمود﴾. فقالوا له تباً لك أهذا ماسمعت؟ كما أنهم يعرفون أخبار مدين وأصحـاب الأخدود وكل ماذكر هنا من أنباء الرسل، فأولئك الرسل العرب الذين أرسلهم من قبل الرسالة التي يشاقون رسولها. ومن هنا يترتب عليهم عدم العذر بالجهل لعلمهم بمصير هذه الأمم المكذبة.

٢ ـ إن ثمود وعادًا لا ينكرون وجود الله ووجود الملائكة بل يعتبرون الله ربهم لتبنيهم ذلك في قولهم المشترك واقتراحهم لرسلهم في الآية:

﴿**لو شاء ربنا لأنزل ملائكة**﴾. وليس كفرهم بالله وملائكته وإنما كفرهم بالدعوة إلى التوحيد والرسل والمفهوم الجديد للدين ﴿**فإنا بما أرسلتم به كافرون**﴾.

٣ ـ تناقض الملأ من عاد، بعد أن أثبتوا وجود الله تعالى وأنه هو الذي يرسل الملائكة ﴿**وقالوا من أشد منا قوة**﴾. أمر يحتاج إلى تدبر. قوم يعترفون بربوبية الله ـ تعالى ـ ويعترفون بخلقه للملائكة فهل يعقل أنهم يشكـون في قوتـه فيقارنون بينها وبين شدتهم؟؟ لا أظن أنهم يعتقدون ذلك بل هذه الطائفة التي قالت من ﴿**أشد منا قوة**﴾ فإنها غير التي قالت: ﴿**لو شاء ربنا لأنزل ملائكة**﴾. لأن الجاهلية أخلاط من الملل والنحل منها من ينكر شيئاً من الدين ويرفض دعوة المجدد لهم كما ورد على لسان عاد في موضع آخر: ﴿**قالوا أجئتنا لنعبد الله وحـده ونذر ماكان يعبد آباؤنا**﴾. ومنها من ينكر الدين كله أمثال هؤلاء الذين قالوا ﴿**من أشد منا قوة**﴾!! ومنها من يطعن في الرسول الداعية كالذين يقولون: ﴿**إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما**

نحن له بمؤمنين﴾. غير الذين يجحدون وإن كانت المجتمعات الجاهلية من طبعها التناقض واتباع الهوى وخلط الحق بالباطل، هذا التناقض مرجعه أنهم موحدون في جانب الربوبية مشركون في جانب الألوهية.

٤ - إن الله تعالى لا يهدي إلا من ارتضى الهدى وتجرد من الهوى وطلب الحق لقوله تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**. [سورة العنكبوت: ٦٩]. وحديث «**من تحر الحقَّ يُعطه ومن توقَّ الشر يوقه**». [رواه الدارقطني والخطيب، صحيح الجامع الصغير]. فهذه ثمود يهديها الله - تعالى - فتؤثر الضلال لارتباطه بمطامع الحياة الدنيا سواء في التنظيمات السياسية كالحكام وأعوانهم المنتفعين بأموال الناس أو الطواغيت الذين يدعون علم الغيب ويستخفون بالجهال من أهل الشرك أو غير ذلك من متاع الحياة الدنيا الذي يتعارض مع الحق كما يضل به الكثير من أهل زماني. والهدى الذي هداهم الله هنا إنما هو هدى الدلالة والإرشاد بمعنى وضحنا لهم وبينا لهم كقوله تعالى: **﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾**. أي دلوهم على طريق النار ولكنهم استحبوا العمى أي الكفر على الهدى ومثل ذلك كثير في القرآن كقوله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾**، وقوله تعالى: **﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾**.

﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

قصة نوح عليه السلام
سورة الأعراف

ـ الدعوة إلى توحيد الله ـ عزّ وجل ـ هي دعوة الرسل جميعاً.

ـ لما تمت المفاصلة بين المؤمنين والمشركين انتصر الله فدمر على الكافرين.

قصة نوح عليه السلام

سورة الأعراف

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف، ٥٩-٦٤].

الفوائـــد:

- إن نوحاً من أوائل الرسل من بعد آدم عليهما السلام وانه أرسل ليصحح مفاهيم العقيدة الصحيحة التي طرأ عليها شرك عبادة الضرائح وابتغاء النفع والضر من الموتى والغائبين. جاء نوح عليه السلام يصحح لهم منهجهم الذي حرفته لهم أيادي المضللين وأعوان الشياطين ﴿**فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾. وهي دعوة الرسل جميعاً من لدن آدم إلى محمد - ﷺ -.

إن قوم نوح طوائف وطرق منهم - كما سيأتي إن شاء الله في سورة المؤمنون - من يعبد الله ويعبد معه إلهاً آخر ومنهم من جحد ومنهم من يرى فصل الدين عن الدولة. ففي الختام اعتبرهم الحقُّ جميعاً مكذبين فقال: ﴿**فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين**﴾. [الأعراف، ٦٤].

قوله: ﴿**إنهم كانوا قوماً عمين**﴾. [الاعراف، ٦٤].

ذكر القرآن أن قوم نوح عليه السلام قوم عمون، عمى البصيرة لا عمى

البصر كما جاء في سورة هود ﴿**فعُمِّيت عليكم**﴾ أي لم ترها بصائركم لأن الله تعالى قد صرفكم عن آياته ﴿**سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين**﴾. وسبق الحديث عن الجاهلية ومشكلة فهمها للحق، إنهم كالذي ينادي من مكان بعيد فلا يستطيع مقصد النداء.

قصة نوح عليه السلام
ســورة هــود

- نوح دعاهم إلى التوحيد.
- كفروا استكبارا وعلوا بمكانتهم الاجتماعية.
- الطعن في الدعوة وتنقيصها يضل صاحبه.
- أثر الأمهات على التربية حتى في العقيدة.

قصة نوح عليه السلام

ســورة هــود

﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ .

الفوائــــد:

ـ إن أتباع الرسل هم الضعفاء المتواضعون لله ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين**﴾ .

ولما كان أتباع الرسول ـ ﷺ ـ الفقراء والمساكين طلب منه كبراء قريش أن يجعل لهم مجلساً خاصًا خاليا من هؤلاء النفر الضعفاء الوضيعين بزعمهم فنهاه الله تبارك وتعالى وأمره بالصبر معهم ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**﴾ . [الكهف: ٢٩].

وهذا الملأ من قوم نوح عليه السلام هو الفريق المعادي للدعوة المتصدي لإبطال الحق. والأغنياء والمترفون وأهل السلطان هم الناطق الرسمي باسم القوم وأول ما بدأوا به اعتبارات الطبقية والطعن في أتباع الرسل ورميهم بالتهم.

والقرآن مليء بعبر المترفين المضللين الذين يتبعون الشهوات فهم قادة الضلال وأئمة الكفر لأن الترف أغلق قلوبهم قال تعالى: ﴿**وكذلك ماأرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾ وقال: ﴿**إنهم كانوا قبل ذلك مترفين**﴾ .

وقال: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ماهذا إلا بشر مثلكم﴾. وقال: ﴿واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾. وقال: ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين﴾.

والمترفون لا يهمهم غير بقاء نعمهم إذ لا يتركون لأنفسهم التفكر مَنْ منحهم هذا النعيم وما يجب عليهم من رد جميل.

والمترفون هم الذين يقفون في وجه دعوة نوح عليه السلام. وقوم نوح أخلاط من الناس منهم أصحاب الأوثان الذين يقلدون آباءهم وليسوا بمنفكين عن عبادة تلك الآلهة ومنهم أصحاب السلطان الذين يعلمون أن هذه الدعوة لا تسمح بوجود نظامهم الباطل الظالم وكذلك منهم التجار أصحاب المراباة وبخس الكيل والميزان فهذه الدعوة تمنعهم جمع المال الفاحش بأساليبهم الجائرة التي يستغلون بها غيرهم وسيمر بنا تفصيل هذا التقسيم لمجتمع نوح عليه السلام في سورة المؤمنون إن شاء الله.

- ﴿قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعُمِّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾؟؟

اتضح لنوح عليه السلام أن قلوب هؤلاء المجرمين لا خير فيها وأن الكبرياء لم يدع لنور الحق والوصول إليه سبيلاً كما أن الترف قد حجبهم عن مجالس أهل الحق فبذلك تبلدت فيهم أجهزة الاستقبال الفطرية فهم لا يفقهون حديثه فذلك قوله تعالى:

﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ فهذا النوع من العمل خاصّ بالبصائر كما قال قوم شعيب ﴿قالوا ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول﴾. وقد

يسمع الانسان الدعوة ويبلَّغ لكنه لا يفهم كهؤلاء الذين قالوا مانفقه كثيراً مما تقول وهم في حقيقة أمرهم لا يفقهون معناه. والفقه معناه الفهم فهذا الضرب من القطعان البشرية لا يصلحون إلا أن يكونوا حطبا لجهنم كما جاء في سورة الأعـراف ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾. [الأعراف: ١٧٩]. وقد قال تعالى في نموذج كان على شاكلتهم كان في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ: ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا﴾؟؟ وقوله تعالى: ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾. وكذلك اعتذار المشركين: ﴿وقـالـوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾. [فصلت، الآية: ٥].

وهنا أمر مهم وهو الفرق بين بلوغ الحجة وفهم الحجة فهؤلاء وأولئك بلغتهم الحجـة ولكنهم لم يفقهـوهـا فلم يكـونـوا معـذورين بعـدم فقه الحق. ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يَصَّعَّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾. [الانعام، الآية: ١٢٥].

ـ جاء في الصحيحين أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مثل مابعثني الله به من الهـدى والعلم كمثـل الغيث الكثير أصاب أرضاً منها: نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها النـاس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه

ما بعثني الله به فعلم وعَلَّمَ ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» .

وكذلك يجد المتدبر في هذا الحديث تناظراً بينه وبين آيات الواقعة في تقسيم الناس يوم يقومون لرب العالمين قال تعالى : ﴿**وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنةِ ماأصحابُ الميمنةِ وأصحاب المشأمة ماأصحاب المشأمة والسابقون السابقون**﴾ . وقد أفردت باباً في عدم العذر بالجهل في كتابي دعاة على أبواب جهنم والرد على أصحاب المغالطات الذين يدافعون عن المجرمين الذين يجهلون حقيقة التوحيد ؛ جهلاً وإعراضاً واستكباراً في الأرض بغير الحق : ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون**﴾ .

﴿**ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم**﴾ . الآية .

الفوائـــــد :

ـ «البراءة» : وهي أمر الله تعالى رسوله نوحاً عليه السلام بصنع السفينة ليتميز الخبيث من الطيّب فإن الله تعالى لن يتدخل ليدمر أعداء الدعوة إلا بعد أن يفاصل المسلمون المجرمين . فمن اتبع نوحاً عليه السلام فهو معه ومفاصل لأهله وولده الذين استحبوا الكفر على الإيمان .

ـ الأخوة الحقة هي أخوة الإسلام ووشيجة الإيمان . لقوله الله تعالى : لقول الله تعالى : ﴿**إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**﴾ .

ـ أثر الأم على التربية ، اعني أن ابن نوح الذي رفض الإسلام إنما أثرت عليه أمه التي ذكرها القرآن في موضع آخر : ﴿**ضرب الله مثلاً للذين كفروا**

امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾.

ذكر الصنعاني في سبل السلام شرح بلوغ المرام، أن رجلاً من التابعين قيل له إن فلانة قد أرضعت ابنك، وكان رضي الله عنه يعلم بسوء خلقها، فنكس رأس الطفل واستقاء كل مافي بطنه. ولما كبر الطفل صار رجلاً، فانفعل انفعالاً شديداً في مسألة لا تستدعي ذلك الغضب. فقال الأب لعلها من بقية تلك الجرعة.

قصة نوح عليه السلام
سورة المؤمنون

- اعتراف المكذبين بوجود الله ومشيئته.
- رفض الدعوة من قبل الذين تعارضت مع مصالحهم ومطامعهم المخالفة للفطرة وهم الحكام والزعماء وأصحاب الهوى.
- وجود علما سوء يجادلون بقولهم ﴿**لو شاء الله**﴾.
- مجتمع نوح أخلاط من الأراء الوثنية.

قصة نوح عليه السلام

سورة المؤمنون

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾. [المؤمنون، الآية: ٢٤].

الفوائـــد:

١ ـ اعتراف الملأ الذين كفروا بوجود الله ومشيئته.

٢ ـ الكبرياء والاقتراح غير المهذب على الله والرسول.

٣ ـ رفض الدعوة لأنها تتعارض مع السلطة لقولهم ﴿**ماهذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم**﴾.

٤ ـ وجـود علماء معـارضـين للدعـوة وهـم الذين اقترحوا نزول الملائكة بقولهم: ﴿**لو شاء الله لأنزل ملائكة**﴾. وهي قولة علماء السوء في كل حقبة من أحقاب الزمان في وجوه الدعاة أما رعاع الناس غير العلماء فقولهم: ﴿**إن هو إلا رجل به جنة**﴾.

٥ ـ إن مجتمع نوح ـ عليه السلام ـ مجتمع أخلاطٍ من الأراء الوثنية منهم من قال لو شاء الله لأنزل ملائكة ومنهم من قال إن هذا إلا رجل به جنة وبناء عليه يكون مجتمع نوح ـ عليه السلام ـ مقسماً إلى طوائف وفرق وهي:

ـ **النـظام الحـاكم المسيـطر** أو الذين ينتفعون من الحكم وذاك في قوله

تعالى: ﴿. . ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾.

ـ **طبقة المترفين والتجار** الذين تتعارض مطامعهم ومعاملاتهم الربوية وبخس الناس أشياءهم، مع ماجاء به نوح ـ عليه السلام ـ.

ـ **المقلدين الجهال المستكبرون** على أدلة الحق ﴿ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾.

ـ **علماء السوء** الذين فرحوا بما عندهم من العلم الذين قالوا: ﴿لو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ فهم يعلمون أن أمور الرسالة والرسل يرسلها الله تعالى عن طريق الملائكة حسب ماعثروا عليه من بقية العلوم التي ورثوها من آبائهم وعلمائهم.

ـ **طبقة وثنية تعبد الآلهة لتقربهم إلى الله زلفى**: ﴿وقالوا لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾.

ـ **قال ابن عباس** ـ رضي الله عنهما ـ إن ودًّا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ـ عليه السلام ـ فلما ماتوا وسوس لهم الشيطان أن يجعلوا لهم صوراً حتى لا تبيد ذكرتهم ففعلوا ذلك ولما طال عليهم الأمد عبدوهم، رواه البخاري.

وأحياناً كثيرة ينقل أقوال الذين أشركوا ولم يجحدوا لكن كان ضلالهم بالطعن في الداعية ومخالفته كالذين قالوا: ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾.

إذن نخلص من دراسة مجتمع نوح ـ عليه السلام ـ إلى أن الشرك ألوان والمشركين ألوان، منهم من قال: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾. ومنهم من قال: ﴿لا تذرن آلهتكم﴾. ومنهم من قال: ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم

إنكم إذن لخاسرون﴾ . فهم طوائف تشرك بالله بعبادة الشركاء ليقربوهم إلى الله زلفى وأخرى تجحد وتسخر من أتباع الرسل، وطبقة المترفين والكبراء الذين رفضوا دعوة الحق لتعارضها مع سلطانهم وإبعاد سيطرتهم عن رقاب العباد وذاك في قولهم : **﴿ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾** .

فأريـد أن أقـول إن القرآن يروي لنا أقوال القادة المعارضين للدعوة وشبهاتهم فتارة يروي قول المترفين وأخرى أقوال المقلدين، وأحياناً قول الملحدين الذين ينفون وجود الله وينكرون البعث كالذين قالوا : **﴿ ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون؟ هيهات هيهات لما توعدون﴾** .
فاخرى قول المشركين ممن يعبدون مع الله آلهة لتقربهم إلى الله زلفى ، بعد أن غلبت عليهم ألفة الدين الذي ألفوا عليه آباءهم فقالوا : **﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾** .

وجه الشبه بين قوم نوح ومشركي مكة:

سبق تفصيل معتقدات قوم نوح ـ عليه السلام ـ فلنأت بشيء من معتقدات مجتمع مكة. كان مشركو جزيرة العرب يعرفون خبر السماء وسلسلة الرسل الكرام، ويعرفون أن الخالق هو الله ـ تبارك وتعالى ـ: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾** .

جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت رسول

الله ـ ﷺ ـ قال: «**هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء** قلت: نعم. قال: **هيه** فأنشدته بيتاً، **فقال هيه** ثم أنشدته بيتاً، **فقال هيه** حتى فأنشدته مائة بيت» رواه مسلم من طريق أخرى بمثله وزاده قال: إن كاد ليسلم، وفي الطريق الأخرى طريق عبدالرحمن بن مهدي قال فلقد كاد يسلم في شعره. ومن شعر أمية:

الحمد لله مَمْسانا ومصبحنا ... بالخير صبحنا ربي ومسانا
رب الحنيفية لم تنفد خزائنه ... مملوءة طبق الآفاق أشطانا

ومن شعره كذلك:

مليك فوق السماء مهيمن ... تعنو له الوجوه وتسجد

قال النابغة:

فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

ومما يدل على بقية الحنيفية قول **قس بن ساعدة الإيادي**: إن لله ديناً أفضل من دينكم الذي أنتم عليه إنكم لتأتون من الأمر منكرا. وقول **قحاف بن إيماء بن رحضة الغفاري** حين استنصرت به قريش وكان حليفهم ليحارب معهم الرسول ـ ﷺ ـ قال إنا كنا إنما نحارب الناس فأما إن كنا نحارب الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة. وكانوا يحجون ويعتمرون ويطعمون الحجاج ويسمونهم بضيوف الرحمن، وكانت قبيلة نزار إذا أهلت بالحج قالت:

لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك لبيك
إلا شريكاً هو لك ... تملكه وما ملك

هذا بعض مايثبت اعتقاد مشركي قريش بوجود الله ـ تعالى ـ كما كانت تثبته طائفة من قوم نوح. فبقي أن نثبت وجود طائفة الكبراء المستكبرين،

جاء وفد لرسول الله ـ ﷺ ـ وقالوا له اطرد هؤلاء الفقراء واجعل لنا مجلساً، فإنا لن نجلس معك ومعك صهيب وبلال وعمار. فنهاه الله عن ذلك لقوله تعالى: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**﴾. أما الطائفة التي عميت بصيرتها من مشركي قريش وصاروا ملحدين لا يؤمنون بالآخرة فقد قالوا: ﴿**أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون**﴾. وطائفة أخرى تعبد الله وتعبد معه آلهة أخرى، ولما سئلوا عن ذلك قالوا: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾. وقوله تعالى: ﴿**ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾.

فهذه الأدلة المختصرة تدل على أن المشركين تتشابه قلوبهم وتتوارد خواطرهم ومواقفهم وحججهم المعروفة التي تنتهي بالإصرار على الكفر ونجد هذا التقسيم في كل أمة أرسل لها رسول كما جاء في قول الأستاذ عبدالكريم الخطيب ورأيه في أسباب تكرار القصة في القرآن بمقدمة هذا الكتاب.

قصة نوح عليه السلام
سورة نـوح

- الإصرار على الدعوة في كل زمان.
- إعراض المدعوين.
- عندما يحس الداعية الإعراض ينوع أساليب الدعوة.

قصة نوح عليه السلام

سورة نوح

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ ﴾. [نوح: ٥-١٠].

الفوائـــــد:

- على الداعية أن يدعو إلى الله وإن وجد عقول المدعوين خربة وصدور السامعين يبابا وقفرا لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا. يدعو ولا ينتظر ثمرة جهده ثم لا يستيئس حين يرى الباطل ينتفش وشمس الحق في أفول. ينبغي له أن يدعو كما دعا نوح عليه السلام قومه. ألف سنة إلا خمسين عاما. دعاهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً فعلى الداعية الذي يرجو وجه الله الكريم أن يقتدي بهذا الرسول ذي الصبر والرأي السديد.
- أنّ الاستكبار من موجبات الضلال. والقرآن حافل بذكر من ضل عن سبيل الله بالاستكبار وكذلك السيرة النبوية.
- أن دعاء الموتى والغائبين عبادة لهم، فلا تجوز العبادة لغير الله ومن عبد غير الله فقد أشرك ومن أشرك فقد حرم الله عليه الجنة.

قصة بني إسرائيل
سـورة البقـرة

ـ تعصب اليهود والنصارى لباطلهم .
ـ الدين الحق هو الإسلام .
ـ أهل الإسلام لهم الأجر والطمأنينة يوم القيامة .
ـ النهي عن التألي على الله «بتقسيم رحمته هذا شقي وهذا سعيد» .
ـ النهي عن الإعجاب بالنفس وتزكيتها .
ـ من صفات أهل الكفران التألي على الله . .
ـ ومن صفاتهم أيضاً الإعجاب بالنفس وتزكيتها .

قصة بني اسرائيل

سورة البقرة

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

ـ إن في قصص بني إسرائيل عبراً لنا وما جاء بها القرآن إلا لنتعظ بها وأن لا نقع في ضلالهم لأن الأحاديث كثيرة في اتباعهم جاء من حديث الصحيحين عن النبي ـ ﷺ ـ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه معهم قالوا اليهود والنصارى يارسول الله؟ قال فمن!**». والغرض في هذه الآية الكريمة النهي عن التألي على الله ـ تعالى ـ كما ورد في السيرة النبوية أن رجلاً قيل له لقد أسلم عمر بن الخطاب فقال والله لو يسلم حمار الخطاب لا يسلم عمر بن الخطاب وكان يومئذ مسلماً وهاجر إلى الحبشة فاعتنق النصرانية ومات عليها. وآخر مسلم قال لأخيه وهو على ملة الكفر لن يغفر الله لك؛ فهدى الله الكافر وجعل الردة لمن تألى عليه وتوفاه فقال له **أتتألى علي فادخل النار**. وإن كان الظن بمعنى العلم.

ولما اعتدى فرعون على موسى ـ عليه السلام ـ وقال له: ﴿**إني لأظنك ياموسى مسحوراً**﴾. قال له موسى: ﴿.. **إني لأظنك يافرعون مثبوراً**﴾. ومثبورا بمعنى مطروداً من رحمة الله أو مجنونا فمن ورع موسى عليه السلام قال إني لأظنك يافرعون، مجرد ظن وليس بالجزم والتألي على الله تعالى:

﴿وقـالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.

ينقل لنا القرآن الكريم معتقد اليهود في النصارى ومعتقد النصارى في اليهود فإذا بين يدي النص أنهم يكفر بعضهم بعضا؛ وقالت اليهود ليست النصـارى على شيء أي كفاراً وبالعبارة نفسها كفر أهل الكتاب. إن لم يتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم: **﴿قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيمـوا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾**. فكلا الطائفتين تقول بكفر الأخرى وكذلك الذين لا يعلمون علم أهل الكتاب قالوا مثل قولهم أي نحن على شيء وماسوانا باطل المعتقد؛ ولعلهم مشركو قريش لما قالـوا أصحاب محمد فقراء ونحن نأتي بالمهرة من آسيا الصغرى (تركيا) لتعمير المسجد الحرام وأنا نسقي الحاج ونسميه بضيف الرحمن فنزلت الآية **﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر﴾**.

والغرض هنا منع الإعجاب بالعمل وتزكية النفس، لأن تزكية النفس من عمل الشيطان وغروره وتزيين باطله؛ وهذه أخطر الآفات في الضلال وقـد اكتسبهـا إبليس بطول خبرتـه الـطويلة وسـيره خلف قوافل الزمان واختباره لطبائع الإنسان.

قصة بني إسرائيل
سورة ال عمران

ـ كشف حال علماء السوء وكيف أنهم يتاجرون باسم الدين .
ـ بيان أنه لا كهنوت في الإسلام يتحدث باسم الرب .

قصة بني اسرائيل

سورة آل عمران

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾. [آل عمران: ٧٨].

الفائـــدة:

- يروي القرآن الكريم حال علماء السوء من بني إسرائيل حينما سولت لهم أنفسهم ليَّ أعناق النصوص لتوافق أهواءهم ومطامعهم وإرضاء أهل السلطان كما ثبت عنهم أنهم بدلوا حد الزنا من الرجم إلى التحميم بطلب من الملوك والأشراف لئلا يرجم أبناؤهم فوضعوا مادة توافق أهواء الحكام والأشراف وهي تبديل الرجم بالتحميم وهو أن يجمعوا بين الزانية والزاني ويركبان على حمار من خلاف وتسود وجوههما لفضحهما بدلاً من الرجم وذاك فقط في أبناء الملوك والأشراف أما أبناء الفقراء فكان يجري عليهم حكم الرجم ولما كان ذلك كذلك هبّ الشعب وثار مستنكراً لم لا يوحد الحكم في أبناء الفقراء وأبناء الملوك والأشراف.

ولما بلغت الثورة والمظاهرات حكامهم خاف الحكام على ملكهم فحينئذ وحدوا الحد وهو التحميم بدلاً من الرجم.

والغرض من ذكر بني إسرائيل هنا أن يجتنب المسلمون سبيلهم في تحريف الكلم عن مواضعه، وفي واقع حياة (المسلمين) من أهل زماني إلا من رحم الله نجد العلماء تطيع أهل الباطل في كثير من الأمر فمنهم من

يزكي الطاغوت ويدعوه بأمير المسلمين ومنهم من يستدل بقول الله تعالى: ﴿أطيعـوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. فيلزم الناس بطاعته فيضلل الكثيرين من سامعيه.

ونوع آخر من أهل الدجل يفعل المنكر ويقول هذا من القرآن ويقولون على الله الكذب وهو يعلمون.

جاء في الجامع الفريد:

والطاغوت عام فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبـوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت والطواغيت كثيرة ورؤوسهـا خمسـة: **الشيـطان، من عبد وهو راض، من دعا الناس إلى عبادته، من ادعى شيئاً من علم الغيب ومن لم يحكم بما أنزل الله.** أهـ. من الجامع الفريد (ص ٢٦٥-٢٦٦).

وضد الإيمان بالجبت والطاغوت؛ الكفر بالطاغوت ولقد كانت دعوة الرسل جميعاً الكفر به قال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**. [النحل، ٣٦].

التحاكم إلى الطاغوت كفر:

إن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به وكفر بالله العظيم لقوله تعالى: **﴿ألم تر إلى الـذين يزعمـون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾**. [النساء، ٦٠].

القتال في سبيل الطاغوت كفر:

قال تعالى: **﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾**.

[النساء، ٧٦]. وقال تعالى: ﴿**قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة**﴾ [آل عمران، ١٣].

العمل في حقول الطاغوت لحمايته حماية مباشرة كفر مخرج عن الملة وكذلك ولاؤه كفر أكبر فعلى من يريد أن يكون مؤمناً بالله أن يجتنب الطاغوت لأن الحق تبارك وتعالى اشترط للإيمان شرط الكفر بالطاغوت لقوله: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾. والعروة الوثقى باتفاق كثير من المفسرين هي كلمة لا إله إلا الله لأن مفهوم المخالفة من لم يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله لم يستمسك بالعروة الوثقى.

قصة بني إسرائيل

سورة الأعراف

قال جل وعلا: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾. [الأعراف: ١٦٣-١٦٧].

لما نهي بنو اسرائيل عن صيد الحوت يوم السبت كانت تأتيهم الحيتان يوم سبتهم بصورة مغرية فضعفوا أمامها، فاحتالوا على نهي الشرع فحفروا حفراً تحبس الحوت عن رجوعه للبحر في يوم السبت ثم إذا جاء الأحد أو الإثنين عادوا فأخذوه. وقالوا نهينا عن الصيد في السبت واليوم الأحد أو الإثنين. ولما فعلوا ذلك انقسم بنو إسرائيل إلى ثلاث طوائف، **طائفة** اعتدت وخالفت الأمر الرباني **وطائفة** أنكرت ذلك الصنيع **وطائفة** أخرى لم تشترك في الصيد كما أنها لم تنه عنه لكنها تتساءل وتستفسر الطائفة التي أنكرت بقولهم: **﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديد﴾**؟ واستنكارهم هنا يلزم منه السكوت على الباطل.

الفوائـــــد:

ـ إنه إذا حدثت بدعة في الدين أو تفشت المعاصي في دار المسلمين أو سيطر على رقابهم الكفار فلابد من إنكار الباطل بأحد الطرق المشروعة التي وردت في حديث الإمام أحمد في المسند عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**ما من نبي قط إلا كان معه حواريون وأتباع، يتبعونه ويهتدون بسنته، ثم بعد ذلك أمراء يغيرون السنن ويظهرون البدع، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**».

والإنكار يلزم منه عدم المشاركة. كما يلزم البراءة من أهل الباطل.

ـ إن الله سيهلك الأمة إذا لم تكن منها طائفة تنهى عن المنكر وهم المصلحون قال تعالى: ﴿**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**﴾. ولم يقل الحق تبارك وتعالى وأهلها (صالحون) والفرق بين الصالح والمصلح، أن الصالح نفعه قاصر عليه، والمصلح نفعه متعد إلى غيره. والمصلحون هم الذين يصلحون ما أفسد الناس والصالحين لأنفسهم فقط. ومعنى الآية أنه إن لم يكن في المسلمين من يصلح الأرض بعد فسادها غشيهم الهلاك ويصحح ذلك قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنهلك وفينا الصالحون قال: **نعم إذا كثر الخبث**. وعنها ـ رضي الله عنها ـ في حديث مسلم في خبر الجيش الذي يغزو الكعبة «**يخسف بهم عن أولهم وآخرهم**. قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفيهم من ليس منهم قال **يبعثون على نياتهم**».

بنـــو إسرائيــل

في سـورة التوبـة

﴿ اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾. [التوبـة، ٣١].

ـ الأحبار جمع حبر والرهبان جمع راهب وهو العالم. فالقرآن الكريم بين لنا ضلالاً جديداً في سيرة بني إسرائيل، لأن شركهم المعهود أنهم قد عبدوا عزيراً ـ عليه السلام ـ كما أنهم عبدوا عيسى ـ عليه السلام ـ وهنا عبدوا علماءهم فهذا ضلال جديد. وقد شرح عبادتهم لعلمائهم حديث عدي بن حاتم الطائي قال سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقرأ قوله تعالى: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾**. الآية. وكنت نصرانيًا من قبل. قلت ماعبدناهم يارسول الله. قال **ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فاتبعتموهم؟** قلت بلى يارسول الله فقال **تلك عبادتكم إياهم**. وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام: **«أليس يحرمون ما أحل الله تعالى فيحرمونه، ويحلون ماحرم الله فيستحلونه؟ فقلت بلى: قال فذلك عبادتهم»**. رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وكان الرجم في **التوراة والإنجيل** ولكنهم تواضعوا على تبديله بالتحميم وهو أن يؤخذ الزاني والزانية ويركبان على حمار على خلاف وتسود وجوههما لفضحهما. وفي صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النبي ـ ﷺ ـ بيهودي محمّماً مجلوداً، فدعاهم فقال **«هكذا تجدون حد الزاني في**

كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم فقال: **أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم**»؟ قال: لا. ولو لا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ـ نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدّ، فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه**». فأمر به فرجم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**﴾. إلى قوله: ﴿**إن أوتيتم هذا فخذوه**﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

وذكر القرآن الكريم وجوب الحكم بما أنزل الله في التوراة الذي أنزل على موسى لقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربَّانيون والأحبار**﴾ الآية وكذلك في الإنجيل: ﴿**وقفَّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾. [المائدة: ٤٦-٤٧].

اجتمع وصف الكفر والفسق والظلم فيمن لم يحكم بما أنزل الله سواء كان في أهل الكتاب أو في غيرهم لقوله تعالى في سورة الحديد: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾. والكفر والفسق والظلم هنا ليست في حق اليهود والنصارى أو أنها كفر دون كفر، إنما هي زيادة في الكفر وإمعان فيه. لأن ذلك مخالف

للدين الذي ارتضاه الله لعباده. والذين يحكمون القوانين الوضعية أولئك هم الكافرون حقًّا.

وأما إن يكن حاكم يستمد جميع أحكامه من شرع الله وحابى في نازلة معينة أو ارتشى فحكم فيها بهواه فهذا ليس بالكفر الذي تضمنته الآيات.

وأما مايورده علماء السوء الذين يجوزون الحكم بغير ما أنزل الله، مقابل رواتب ورتب أولئك مايأكلون في بطونهم إلا ناراً. لأن الحاكم بغير ما أنزل الله هو رأس من رؤوس الطواغيت الخمسة: وهي: الشيطان، من عُبِدَ وهو راضٍ، من دعا الناس إلى عبادته، من ادعى شيئاً من علم الغيب ومن حكم بغير ما أنزل الله.

وقد كانت دعوة الرسل جميعاً: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾. [النحل: ٣٦].

لذا ضربت الذكر صفحاً عن مناقشة مغالطات المضللين بقول ابن عباس كفر دون كفر، حيث أطلت الحديث عن هذه الآيات في كتابي «دعاة على أبواب جهنم». وسيأتي قول الشيخ الشنقيطي إن شاء الله في الباب نفسه.

لا إسلام إلا بالكفر بالطاغوت

إن الحق تبارك وتعالى اشترط لثبوت الإيمان، الكفر بالطاغوت قال جل شأنه: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾. الآية، باتفاق كثير من المفسرين إن العروة الوثقى هي كلمة لا إله إلا الله.

وضد الكفر بالطاغوت الإيمان به، والإيمان به والإيمان بالله لا يجتمعان في قلب. وبنو إسرائيل لما حقت عليهم كلمة العذاب ولعن الذين كفروا منهم على لسان داود وعيسى ابن مريم. أخبرنا الله تعالى بجزائهم بقوله: ﴿**وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت**﴾. الآية.

وعبد الطاغوت يعني المؤمنون به. وجاءت صريحة في سورة النساء: ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً**﴾. [النساء: ٥١].

الكفر بالطاغوت:

الكفر بالشيء رفضه وتغطيته وعدم اعتباره. وجاء في الصحيح «**لأنهن يكفرنَّ العشير**». وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مجموعة التوحيد: وأما الكفر بالطاغوت فهو اعتقاد بطلان عبادة غير الله وتكفير أهله ومعاداتهم. أهـ.

وكان حديث الشيخ رحمه الله شرحاً لآيات سورة النساء التي تتحدث عن المتحاكمين لغير ما أنزل الله وأن إيمانهم يكون مجرد زعم باطل، نسبة لرضاهم بحكم الطاغوت، لأن الرضا بحكم الطاغوت إيمان بالطاغوت،

وذلك في قوله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنـزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً**﴾. [سورة النساء، ٦٠].

وبالجملة فإن المتحاكمين إلى الطاغوت من غير إكراه كفار. والحاكم إذا بدل الشرع وأقام مكانه قوانين من صنع البشر فهو كافر، ومن لم يكفره كذلك كفر.

قال الشيخ الشنقيطي في تفسير الآية: ﴿**ولا يشرك في حكمه أحداً**﴾.

« . . . والدين ماشرعه والقضاء ماقضاه، وقرأ ابن عامر «ولا تُشْرِكْ» بصيغة النهي أي لا تشرك يانبي الله ولا تشرك أيها المخاطب أحدا في حكم الله بـل أخلـص الحكم لله مـن شوائب شـرك غيره في الحكم وحكمـه تعالى المذكور في قوله ﴿**ولا يشرك في حكمه أحدا**﴾. شامل لكل مايقتضيه تعـالى ويدخل في ذلك الشرك التشريع دخولاً أوليا. . وما تضمنته هذه الآية من كون الحكم لله وحده لا شريك له على كلتا القراءتين جاء مبيناً في آيات آخر كقوله تعالى: ﴿**إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه**﴾. وقوله تعالى: ﴿**إن الحكم إلا لله عليه توكلت**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير**﴾. إلى أن قال: ويفهم من هذه الآيات كقوله ﴿**ولا يشرك في حكمه أحدا**﴾ إلى أن متبعي أحكام المشرعين بغير ما شرعه الله تعالى هم مشركون بالله وهذا المفهوم جاء مبيناً في آيات آخر كقوله في من اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله: ﴿**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم**

ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾. [الأنعام: ١٢١]. فصرح بأنهم مشركون بطاعته وهذا الإشراك في الطاعة واتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: **﴿ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾**. [يس: ٦١].

ومن صريح الأدلة في هذا أن الله ـ عز وجل ـ في سورة النساء بين أن من يريدون أن يتحاكموا إلى غير ماشرعه الله يتعجب من زعمهم أنهم مؤمنون وماذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة من الكذب مايحصل منه العجب وذلك في قوله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيد﴾**. . [النساء: ٦٠].

وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم. أهـ. أضواء البيان (٤/٨٣).

فهذا يعني أن المتحاكمين إلى القوانين الوضعية كفار، والذين يحكمون بها أيضاً، وكذلك من شك في كفرهم فهو مطموس البصيرة كافر مثلهم.

وتلك هي دعوة الرسل إلى الله. وربنا الرحمن المستعان على مانعانيه من العلماء المضللين والحكام المبدلين. اللهم أيد دعاة الحق المخلصين ودمر الطواغيت وأعوانهم الظالمين وانصر هذا الدين. . آمين.

قصة بني إسرائيل
سـورة طـه

- مامن الله به على بني إسرائيل حيث آمنهم من خوف وأطعمهم من جوع .
- الطغيان والكفران وعدم الشكر يزيل النعم .
- شروط التوبة .

قصة بني اسرائيل

سورة طه

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾. [طه: ٨٠-٨٢].

الفوائـــد:

لما نجى الله بني إسرائيل من العذاب المهين ونزل عليهم المن وهو طعام كالعسل ينزل على أوراق الشجر يناله طالبه دون عناء وبغير ثمن وكذلك السلوى مفرده سلواة وهو طائر السمّان والمفرد منه سماناة وهو أشبه بالقمري والحمام إلا أنـه أصغر منه ثم ظلل الله عليهم الغمام الذي يتوفر فيه الدفء الرطيب، فمن تحته لا يحتاج إلى غطاء من برده ولا يشتكي من حره؛ وبهذا تكون قد تمت مقومات الحياة مادام العيش متيسراً والمأوى آمناً عندها؛ ذكر الحق مقومات الحياة فقال: ﴿**فليعبدوا ربَّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾.

فهـا نحن نسمـع ونـرى أمر بني إسرائيل بعد أن أمددهم الله بتلك النعم. أمرهم ـ تبارك وتعالى ـ بأمر هام ووضع لهم شرطاً أهم للدخول في رحمته التي سبقت غضبه وهو:

ــ نهاهم عن **الطغيان** لئلا يحل عليهم الغضب والفاء هنا فاء التعليل كما

يقول أهل الأصول: سرق فقطعت يده، أي بعلة سرقته قطعت يده، وبين تعالى لهم من أمثال الأمم الذين آتاهم النعم لم يرعوها حق رعايتها فأخذها الله منهم وأبدلهم بها العذاب وذلك في قوله تعالى: ﴿**وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾. [النحل: ١١٢] فانظر هذه القرية التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً كيف غير الله حالها من أمن واطمئنان إلى خوف فغطاها الله بثوب الرعب والجزع والندم والتشرد وبدل بالعيش الرغيد الجوع، ذلك بأنهم لم يشكروا النعم. هذا النصح كان رحمة ونعمة ثالثة لبني إسرائيل مع نعمتي المن والسلوى.

ــ بين الله ـ تعالى ـ لهم ولعامة الخلق بأنه (**غفار**) لكن لمن وبأي شرط!! شرط الله ـ جل وعلا ـ لمغفرته ﴿**لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**﴾. فالإيمان شرط في قبول الأعمال لأن ضده الشرك والكفر ودخول الشرك يفسد الأعمال كما يفسد الخل العسل ﴿**وعمل صالحاً**﴾ فالإيمان ليس قولاً كما تقول المرجئة. قال ابن حجر في الفتح: من قال إن الإيمان هو العمل يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾. عن قول لا إله إلا الله (**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾. أهـ.

﴿**ثم اهتدى**﴾ أي اتخذ ذلك هديا؛ وليس كما يفعل المستهترون بالتوبة.

﴿**قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري**﴾.

قال غيّر بنو إسرائيل في غياب موسى ـ عليه السلام ـ حينما ذهب لميقات ربه، وقد أوصاهم ونصحهم باتباع سنته وإن لا يحيدوا عنها قيد شبر، ولكنهم لم يلتزموا ويسدوا ذرائع الفتن الشيطانية، فحل بهم ماحل.

وذكر أكثر أهل العلم أن كل من قدم بين يدي الله ورسله فإن عاقبته الردة قال تعالى: ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب إليم**﴾. والضمـير هنـا ﴿**عن أمره**﴾ راجع إلى الرسول ـ ﷺ ـ فقـال العلماء ﴿**تصيبهم فتنـة**﴾ قالوا ردة. ﴿**أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ قالـوا عذاب في الـدنيا. ولا يفهم من قولي أني أقصد بالردة أن المخالف لهدي الرسول ـ ﷺ ـ يكفر بالكبيرة التي فعلها وإنما أقصد أنها تفتـح باب الضلال حتى إذا أوغل فيه الرجل ضاع عنه الحق في طول الـطريق، وأحسن ما قيل في المعصية قول شيخ الإسـلام ابن تيمية في الفتاوى أن المعصية ليست بكفر ولكنها بريد الكفر. وروى الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون**﴾. [المطففين: ١٤]. حديثاً عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**إذا اخطأ العبد خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن استغفر صقلت، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فذلك هو الران ﴿كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون﴾**».

ويؤيد ما أزعمه نص الآية التي كانت تعقيباً على مصارع الأمم في نفس الموضوع والسورة حيث قال الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿**كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيـامـة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا**﴾ والشاهد ﴿**وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا**﴾. فإن رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ قد أوتي القرآن ومثله معه.

قصة إبراهيم عليه السلام
ســورة البقــرة

ـ إن ابراهيم نجح في الاختبار.
ـ أثابه الله بأن جعله إماماً للناس.
ـ إن إمامة الكافر لا تجوز.

قصة ابراهيم عليه السلام

سورة البقرة

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

الفائـــدة :

أن الله تعالى اتخذ إبراهيم ـ عليه السلام ـ خليلاً لطاعته لأوامره وإخلاصه وصبره على أذى المجرمين أعداء الدعوة.

ذكر القرآن شيئاً من إخلاصه لربه وطاعته له في كثير من الأمر كطاعته لله بذبحه ابنه إسماعيل وغيره. أما هنا فقد ذكر القرآن أن إبراهيم قد ابتلي بأوامر فأطاعها بأكملها ولم يفصلها لنا القرآن تفصيلاً صريحاً لكن قال بعض المفسرين هي الحج ومناسكه، وقال بعض آخر هي الوضوء والسواك والختان وقص الشارب والاستحداد ونتف الإبط وغيرها ذكر ذلك السيوطي وغيره. ولكن علينا ان نؤمن أنه عليه السلام تلقى من ربه تكاليف فأطاعها لذا آتاه الله أجراً في الدينا ولأجر الآخرة أكبر.

ونظير ذلك الامتثال بالطاعة أثابه الله بالإمامة: ﴿**قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾. وذكر القرآن كثيراً أن جزاء الصبر في الدنيا الفوز بها كما قال عن بني إسرائيل في السجدة: ﴿**وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾. وفي الأعراف: ﴿**وأورثنا القومَ الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسن على بني**

إسرائيل بما صبروا﴾. والشاهد: بما صبروا، أي بصبرهم أورثوا ذلك. وأن المسلمين لما أطاعوا الله والرسول أورثهم أرضاً لم يطئوها وجعلهم سادة العالمين بإخلاصهم وصبرهم.

ـ أما قوله تعالى: ﴿قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين﴾.

صرحت الآية بأن هذا الموثق في نيل الامامة إنما يكون فقط لأهل التوحيد لأن إبراهيم إمام الموحدين وأبوهم من قبل. ومهما تمسك أهل الأوثان بشيء من الحنيفية ثم أشركوا فإنهم غير داخلين في هذا العهد كما كان لبني إسرائيل أن الله تعالى قد فضلهم على العالمين في حقبة من أحقاب الزمان. فلما ارتدوا ظنوا أن ذلك التفضيل باق وأنهم مازالوا مفضلين على العالمين فهذا رد على كل من زعم زعمهم ولفّ لفهم واتخذ من دون الله أولياء.

قصة إبراهيم عليه السلام
سـورة مريـم

- ثبات الداعية على الحق مهما يتوعده أعداؤها بالقتل.
- اعتزال أهل الباطل وأن الله تعالى سيجعل له عوضاً عظيما.

قصة ابراهيم عليه السلام

سورة مريم

قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ
مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ
وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي
مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ
وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا
اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾. [مريم: ٤١-٥٠].

الفوائـــد:

ـ ثبات الداعية على الحق مهما يجد من التهديد، فقد هُدد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ من قبل أبيه بالرجم لئن لم ينته من دعوته. ﴿لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾.

ـ أن من دعا غير الله فقد أشرك وكفر كفراً مخرجاً عن الملة.

﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾. وجاء في المسند «**الدعاء هو العبادة**». وفي الآية هذه **﴿وأعتزلكم وماتدعون﴾**. ثم جاءت بعد **﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾**. فسمى الحقُّ تبارك وتعالى دعاءهم ذاك عبادة.

ـ اعتزال أهل الباطل وأن الله سيخلف لمن اعتزلهم أنساً وقرة عين أفضل منهم ولـو كانـوا أولي قربي. فهـذا إبـراهيم ـ عليه السلام ـ يعتزل أباه وعشيرته فيعوضه الله ـ تعالى ـ عنهم إسحاق ويعقوب، وجعلهم أنبياء صالحين.

قصة إبراهيم عليه السلام

سورة الأنبياء

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ
﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ
أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ
ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔا
لِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟
فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِ
بْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾
فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ
لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ
كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

[الأنبياء: ٥١-٧٠].

الفوائـــــد:

ـ إن ابراهيم ـ عليه السلام ـ قد أوتي رشدا وتوحيدا وإنه لم يشرك في حياتـه كعـامة الرسل على الفطرة، لا يشركون ولايمارسون كفرا، والآية الكريمة ترد على من زعم أن خليل الله ـ عليه السلام ـ كان يتقلب في عبادة الآلهة حتى وجد مولاه الحق. قال السيوطي ـ رحمه الله ـ في الآية: ﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين**﴾. أي هداه من قبل بلوغه ﴿**وكنا به عالمين**﴾ بأنه أهل لذلك ﴿**تفسير الجلالين**﴾.

قلت: والـرشـد هنـا بمعنى العقل الراجح الذي يعي مهمة الرسل ويؤديها والرشد كذلك يطلق على سداد الرأي وحسن الأسلوب في الدعوة والجدل ﴿**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**﴾. والآية الكريمة هي افتتاح لخبر ـ إبراهيم عليه السلام ـ وحكمته في الجدل بالكيفية التي تقذف بالحق على الباطل فتدمغه.

ولم يكن الخليل عليه السلام قد أشرك قبل بعثته أو بعدها والدليل على ذلك أنه تبرأ من شرك قومه ولم يتبرأ من شرك قد سبق له ممارسته ﴿**قال ياقوم إني بريء مما تشركون**﴾. ولم يذكر أن له شركاً قديماً يتبرأ منه بأثر رجعي كما فعل موسى عيه السلام حيث قال ﴿**فعلتُها إذا وأنا من الظالمين**﴾. أي بظلمي لنفسي وظلم غيري وليس الظلم بمعني الشرك.

إن الذين سبقت لهم من الله تعالى كلمة العذاب، يشركون ويعبدون آلهة لم يكونوا مقتنعين بنفعها عن يقين ولكن يتمسكون بحجج واهية حتى يجوزوا البقـاء على ذلـك الكفـر. وسواء عليهم أنذروا أو لم ينذروا فهم يصرون على الكفـر ﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة**﴾. [البينة: ١]

فهم يصرون على الكفر والبقاء عليه معتذرين بأسباب لم تعتبر أصلاً أسباباً مقنعة عندهم أو عند غيرهم. ومن هنا نعلم أن من المشركين الذين يتحججون بأوهى الأعذار بتقليد من كان قبلهم بعد إقامة الحجة أنهم أهل كفر يحبون أن يكفروا فهم لا يؤمنون حتى يباغتهم الموت أو يأتيهم (العذاب الأليم) والعذاب المعهود هنا عذاب الآخرة سواء كان ذلك برؤية ملائكة الموت في الدنيا أو حين يأتي بعض آيات ربك فيومئذ لا تقبل التوبة. وهذا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**﴾. إني لا أتألى على الله تعالى في هدايتهم ولكن في الكثير الغالب منهم يصرون على هذا الكفر ويتحججون ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾. أو أي عذر آخر كاعتذار قوم نوح حين قالوا: ﴿**أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**﴾.

فإن كان يتبعه الأرذلون أو الأشراف ماكانوا ليؤمنوا به ولكنها أعذار للبقاء على الكفر.

هذا خليل الرحمن عليه السلام يدعو هؤلاء الذين أشركوا إلى التوحيد ويسألهم عن أصنامهم التي يعكفون عليها فما كان جوابهم إلا أن قالوا: ﴿**وجدنا آباءنا لها عابدين**﴾. فالعذر الواهي المقبوح هو أنهم يحبون الاقتداء بسيرة آبائهم الضالين.

وفي الواقع إنما يريدون العكوف على الآلهة، **لكنهم اتخذوا اتباع الآباء ذريعة** ثم برهن عليه السلام على بطلان هذه الآلهة ولكن انتهى الحوار بقرار من المشركين وإجماعهم على إحراق الخليل عليه السلام.

ـ الشباب أول من يسارع في الاستجابة للحق، وهو مظنة الخير لقوله

تعالى: ﴿سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾. وكذلك كان أصحاب الكهف كان أكثرهم شباباً لقوله تعالى: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾. كما أن الشيخوخة مذمومة وهي مظنة الضلال والشبهات حيث تضعف عندها أجهزة الاستقبال الفطرية في الإنسان وروى لنا القرآن الكريم طرفاً من ذلك عن بني اسرائيل ﴿فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾.

– على الداعية أن يتوكل على الله ولا يرهب العاقبة لأنها إحدى الحسنيين إما النصر بنشر الدعوة وظهور الحق وإما الشهادة في سبيل الله.

وروى البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناسُ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾. قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ـ ﷺ ـ حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم. أهـ.

وكذلك على الداعية أن يلتزم الدعاء في السراء والضراء، في السراء يزيد النعم ويباركها وفي الضراء يكشف الضر ويهتك حجب الأحزان التي تحيط بصاحبها. ويفضل من الأدعية المأثورة من السنة أو أدعية الأنبياء، وسنورد فضل الدعاء في خبر مجموعة من الرسل في سورة الأنبياء إن شاء الله المعين.

قصة إبراهيم عليه السلام

سورة الممتحنة

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾. [سورة الممتحنة، آية: ٤].

إن ورود قصة خليل الله عليه السلام هنا يختلف عن ورودها في المواضع الأخرى إذ جاءت في البقرة بفوائد كامتثال الداعية لأمر الحق تبارك وتعالى وبذلك يرقى مقامه ويرفع ذكره. كما أنها جاءت في سورة مريم موضحة أن الدعاء هو العبادة وأن من واجب الداعية أن يعتزل أهل الباطل إن كان الباطل هو الغالب في المجتمع واستعصى أمره واستفحل شأنه أما في هذه السورة التي كان سبب نزولها أن حاطب بن أبي بلتعة قد كتب لمشركي مكة يخبرهم بأن الرسول ـ ﷺ ـ سيغزوهم، وكان رضي الله عنه يروم من ذلك أن يجعل له يداً فيهم لحماية ماله ليس حبا فيهم ولا خوفاً عليهم. لكنه لم يكن يعلم أن العمل كفر فنزل الوحي يحذر المؤمنين بقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾. الآية.**

فجاءت بفوائد كثيرة منها:

١ ـ البراءة من الشرك والمشركين تلفظاً لمن استطاع التلفظ وإلا فبالقلب.

والبراءة من الشرك والمشركين أمر واحد أساسي لا يتم إسلام المرء إلا به وقد ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مؤلفاته لو أن الرجل كفر بالطاغوت وآمن بالله ولم يتبرأ من الشرك والمشركين لم يكن مسلماً. لأن ضد البراءة الموالاة والمناصرة.

وقد جاء في القرآن النهي عن موالاة الكفار ومناصرتهم في آيات كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾. الآية.

﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾. الآية.

﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾.

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله وسوله﴾.

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون﴾. يعني كلمة التوحيد والبراءة من الشرك والمشركين.

كما أنها تدل المسلمين على طرق المعاملة مع أهل الكفر والإحسان إليهم دون موالاة ومناصرة سيما أولئك الذين لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم، وتلك نظرة مستقبلية لعلهم أن يهتدوا إلى الإسلام: **﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾**.

وسيأتي الحديث عن البراءة من الشرك والمشركين في قوله تعالى: **﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾**. في قصة يوسف عليه السلام.

قصة موسى عليه السلام
سـورة الأعـراف

ـ اتصال موكب الإيمان وعدم انقطاعه.
ـ الإعراض عن الآيات من الفساد الذي لا يرضاه رب العباد.
ـ تدمير ملك الطاغوت ومصانعه ومنشآته.
ـ تحمل الأذى في الدعوة إلى الله وتقديم العزيمة على الرخصة لمن يقتدي به.
ـ تسمية دعوة الله فساداً من قلب الحقائق والإعلام المضلل.
ـ الصبر من لوازم الانتصار في نهاية المطاف.
ـ للاستخلاف في الأرض شروط الإيمان وعمل الصالحات وترك الإشراك.
ـ التدمير على الكافرين والاستخلاف للمؤمنين بسبب الصبر وتحمل الأذى.

قصة موسى عليه السلام

سورة الأعراف

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ . .

إلى قوله تعالى:

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ .

الفوائـــــد:

ـ إن القرآن يحفظ الصنيع الحسن لأهله؛ فهذا فرعون مع رفضه الدعوة مبدءًا إلا أنـه قد أعطى موسى عليه السلام الفرصة لطرح الدعوة أمام الجماهير وأن يأتي بالأدلة قال تعالى: ﴿**قال إن كنت جئت بآية فأتِ بها إن كنت من الصادقين**﴾.

ـ يجب على العلماء وقادة الدعوة أن يأخذوا بالعزيمة ويتركوا الرخصة عند المحن، لأن إيثار الشهادة أوجب من نشاطهم في العمل الإسلامي، كما أن الـدعـوة تتردى ويضعف الإسلام والمسلمون بسكوتهم. وللعلماء في الإمام أحمد أسوة حسنة حين صمد أمام البدعة وطُلب منه أن يقول كلمة تقية يفهم منها أنه يقول بخلق القرآن فقال: (العالم يقول الكلمة تقية والجاهل يجهل فمتى يظهر الحق)؟ فلو أن كل العلماء قالوا كلمات يبتغون

مرضاة أصحاب الباطل لاندثر الحق وغابت شمسه. إن موقف السحرة أمام فرعون قد ساعد على ثبات من آمن بموسى وأخيه ـ عليهما السلام ـ ورفع الدعوة ورفع ذكرهم مادامت تشرق الشمس وتغيب. هددهم الطاغية بالقتل والصلب وهو أول من سنَّ الصلب كما جاء في تفسير القرطبي عن ابن عباس، فما وهنوا ولا استكانوا حين قال لهم: ﴿**لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون**﴾.

ـ تناقض جاهلية آل فرعون وفسوقهم ومداهنتهم للطاغوت من أجل المتاع الرخيص حيث قالوا لفرعون: ﴿**أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك**﴾. يحرضون فرعون على بقائه على كفره وإصراره لمعاداة الدعوة لأنهم قد علموا أنه غير متنازل عن حكمه وسلطانه لله لذا قالوا له ماقالوا ليرضى عنهم بحثهم إياه على التمسك بآلهته. علماً بأن القرآن كشف نفاقهم وتناقضهم على لسان مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه وهو يخطب الجمع ويحذر ﴿**وقال الذين آمن ياقوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد**﴾. إلى أن قال: ﴿**ولقد جاءكم يوسفُ من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا**﴾. [غافر، الآية: ٣١-٣٤].

ـ على المصلحين الاستعانة بالله مع الصبر على أذى المجرمين لأن ذلك من أعظم أعمال الصالحين ﴿**استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**﴾. [الآية: ١٢٨] بالصبر والعمل الصالح

يفرق الله بين الحق والباطل. ولما التزم بنو إسرائيل الصبر واستعانوا بالدعاء جعلهم الله أئمة للخير، قال تعالى: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا**﴾. [السجدة، الآية: ٢٤].

إن طريق دعوة الحق شائك وإن أصحاب الدعوة مُعَرَّضون للأذى في كل زمان وفي كل مكان. ومامن دعوة حق إلا وحاربها الطاغوت وعاداها بأعوانه الظالمين. ولابد من الصبر على أذى الذين أشركوا، ولا يجوز طاعتهم ولو في بعض الأمر.

الخلاصة أنه لن تكون هناك طائفة أو جماعة يسمح لهم الطاغوت بكامل نشاطهم ودعوتهم إلا إذا كان هناك تنازل منهم عن كلية من الدين وشيء من العقيدة.

إن الاستخلاف في الأرض وعد من الله تعالى مشروط بالإيمان لقوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا**﴾. [النور، الآية: ٥٥] هذا هو شرط الاستخلاف والعاقبة للمتقين الصالحين وليس للمشركين.

ـ على الدعاة أن لا يستيئسوا ولا يغرنهم تقلب الذين كفروا في البلاد بل عليهم أن يبلغوا الدعوة كلها كما بلغها الرسول الكريم ـ ﷺ ـ وبعد ذلك يأتي النصر والاستخلاف بالعمل الصالح المخلص بالاعتزال، لا بأضعف الإيمان. فقد كان بنو إسرائيل يذوقون عذاب الهون من آل فرعون وكانوا قلة مستضعفين لكنهم فاصلوا أصحاب الكفر وتبين صف المجرمين من

المؤمنين فجاءهم نصر الله ومكن لهم في مشارق الأرض ومغاربها بسبب الصبر والعمل الصالح دون تنازل أو طاعة في بعض الأمر قال الله تعالى: **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون﴾**. [الآية: ١٣٧].

وهـذه الآية ليست خاصة ببني إسرائيل فقط وإن كانت تروي قصة استخلافهم بعد العذاب المهين وخلاصهم من أكبر طواغيت الأرض رغم حذره وقوته. بل هي عامة للمسلمين في كل مكان وكل زمان. والشاهد على ذلك أنه بعد أن كان المسلمون في استضعاف مشركي مكة وإرهابهم، جعل الله لهم يوم فرقان بعد المفاصلة والصبر على الأذى ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأبدلهم بخوفهم آمناً وباستضعافهم قوة.

قصة موسى عليه السلام
سورة يونس

- عدم الموضوعية في التعصب لدين الأجداد لمجرد أنه دين الآباء.
- المشركون لا يجهدون أنفسهم في التفكر في حركة التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي التي يحملها الرسل.
- عرف المشركون أن اتباع الرسل يعني إعادة صياغة الحياة على نحو جديد بقيم جديدة يفقد فيها الكبراء سيطرتهم على الضعفاء.
- رفض الدعوة انطلاقاً من المحافظة على المصالح الشخصية الضيقة.
- لا تقبل التوبة عند سكرات الموت.
- أن يبدل لأصحاب الدعوة خوفهم أمناً.

قصة موسى عليه السلام

سورة يونس

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨ ﴾ . [الآية: ٧٨].

ـ رفض الملأ الدعوة لتعارضها مع الملك وهي (الكبرياء في الأرض) كما ذكره السيوطي رحمه الله.

ـ الثبات عند لقاء العدو أو عند البلاء لقوله: **﴿وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾**. لأن بني إسرائيل في موضع آخر لما ضاقت بهم الأرض بما رحبت من عذاب الطاغوت قالوا لموسى عليه السلام: **﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾**. [الأعراف: ١٢٩].

ـ **﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة﴾**. [يونس: ٨٧].

اعتزال المشركين ومعابد الجاهلية، وأداء الفريضة في جو طاهر مأمون يوفر الخشوع ويزيد العبد في ربه رغبة ورهبة.

قال ابن كثير والسيوطي والنسفي وغيرهم من المفسرين إن بني إسرائيل أمروا بأداء الصلاة في بيوتهم.

قال سيد في ظلال القرآن:

وهذه التجربة التي يعرضها الله تعالى على العصبة المؤمنة ليكون لها أسوة

ليست خاصة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية خالصة. وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت وفسد الناس وأنتنت البيئة ـ وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة وهنا يرشدهم إلى أمور:

ـ اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها ـ ما أمكن ذلك وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتطهيرها وتزكيتها وتدربها وتنظمها، حتى يأتي وعد الله لها. أهـ.

هذه الآية لكل قوم آمنوا بربهم، ولكن لا يشك أحد في أن الطاغوت يتضجر كثيراً حين يرى الناس لا يخلصون له العبادة. وكما هو واضح وضوح الشمس في الأرض أن المسلمين في اضطهاد وتعذيب من بني جلدتهم الذين يسمون أنفسهم بالمسلمين وبعض الأئمة يدافعون عن أولئك المتمردين على سلطان الله.

ـ مفاصلة أعداء الدعوة لأن الله لا ينزل العذاب على الظالمين حتى يفاصل المؤمنون الكافرين قال تعالى: ﴿**لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم**﴾. [سورة الفتح: ٢٥].

وقد كانت الصلاة في عهد فرعون سمة من سمات الإسلام، وميزة يتميز بها الكافر من المسلم، لكنها في هذا الزمان الذي نعيشه لم تعد كذلك بل كانت شبهة ومشقة في بعض البلاد لكثير من الناس ألبست عليهم الأمور وأشكلت عليهم عمومات الأحاديث كحديث: من صلى صلاتنا، ومن أكل ذبيحتنا، ومن قال لا إله إلا الله، وإذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان. إن من أهل زماننا من يطعن في الإسلام وهو يصلي

ومنهم يقول بفصل الدين عن الدولة وهو يصلي ومنهم يتولي الذين كفروا. ومنهم من يرى جواز الخروج عن شريعة الإسلام كما خرج الخضر. ومنهم من يعبد الطاغوت ويحميه حماية مباشرة او أنه يعتبر الطواغيت ولاة أمور للمسلمين. **فكم من طواغيت أهل زماني من يؤدي الصلاة ويبني المساجد وإذا طالبه المصلحون بحكم شرع الله ذبح رجالهم واستحي نساءهم.** تلك من آيات الله التي لا يتدبرها إلا أولو الألباب. والمؤمن الكيس يعلم مقاصد الشرع ويعلم كيف تختلف الفتوى باختلاف الزمان والمكان.

- بعد الصبر والمفاصلة يأتي التمكين لقوله تعالى: ﴿**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين**﴾.

﴿**ءآلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**﴾؟

لم يقبل الله تعالى التوبة من فرعون رغم أن شهادته معناها لا إله إلا الله، ذلك بأن الله لا يقبل التوبة من العبد حين يتنزل العذاب ﴿**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**﴾. لأن كلمة لا إله إلا الله لم يبق لها وقت لتحقيق مدلولها وتحقيق الغاية التي من أجلها خلق الإنسان.

وجاء في حديث صحيح مسلم «**أن الله يقبل التوبة من العبد ما لم يغرغر**». وذكر أصحاب السنن أنه إذا ظهرت علامات الساعة الكبرى فإن التوبة يقفل بابها وهي: الدخان؛ الدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن. وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا**﴾. [الأنعام: ١٥٨].

ـ ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾.

إن في إغراق فرعون آية وموعظة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فيزداد الذين آمنوا إيمانا بأن العاقبة للمتقين، وأن وعد الله حق بالتمكين للذين آمنوا وعملوا الصالحات، مهما ضاقت الأرض بالكرب، ومكر المجرمون الذين آتاهم الله السلطان، واستغلوا ذلك في الباطل ومحاربة الحق.

ـ وكذلك في نجاة جيفة فرعون وإلقائها في البر عبرة لأولى النهى، ولكن القلوب الغافلة تتخذ منها سياحة ونزهة والله المستعان.

ـ يهدد الله ـ تعالى ـ طغاة المشركين بمكة ويطلعهم على مصارع الغابرين بقصة فرعون وملئه الذين تجبروا وظنوا أن قوتهم. تمنعهم من بأس الله فأتاهم عذابه من حيث لا يشعرون، وتهديد الله تعالى ليس خاصًّا بمشركي مكة وإن كان عند نزوله موجهاً إليهم فهو عبرة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإن الوعد والوعيد في القرآن الكريم لكل من يسمعه عقب كل تدمير للظالمين ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين. ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقًّا علينا ننج المؤمنين﴾.

قصة موسى عليه السلام
سورة هود

ـ قوم فرعون اختاروا الغي على الرشد.

ـ لما كان قوم فرعون تبعا له في الدنيا فإنه يتقدمهم إلى الجحيم في الآخرة.

ـ مشهد من مشاهد القيامة فيه حوار بين المستضعفين والكبراء.

قصة موسى عليه السلام

سورة هود

الفوائـــــد:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾. [هود: ٩٦-٩٨].

ورد الحديث عن التبع والمتبوعين وذمهم وعدم عذرهم في قصة موسى وفرعون، في سورة طه والقصص؛ ففي طه ذكر مصيرهم ﴿**فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم وأضلَّ فرعون قومه وماهدى**﴾. ذكر ضلالهم ومصرعهم؛ أما في القصص فقد بين أن الإثم مشترك بين التبع والمتبوعين وأن المتبوعين سيحملون أوزار التبع دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً، وخَوّف الذين من بعدهم من أن أتباع الطاغوت. والطواغيت لا يقلون عنهم في الإثم لقوله تعالى: ﴿**إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**﴾. ففرعون الطاغوت الأكبر، وهامان وزيره والقائد الأعلى للقوات المسلحة، أما جنودهما فمنهم الرتبة الكبيرة ومنهم المستجد فهؤلاء جميعهم كانوا خاطئين بنص الآية.

أما ورود قصة فرعون هنا فالغرض منه تخويف العباد باجتناب الطاغوت لأن عبدة الطاغوت يدخلون دار البوار بحسب رتبهم وعونهم للطاغوت، فكلما كانت الرتبة والمكانة أكبر كان الدخول مبكراً.

فهذا فرعون القائد في الدنيا، قائد في الآخرة يقدم قومه إلى النار

والمسيرة حسب الرتب والأسبقية، ثم بعده هامان ثم مساعد هامان، ومساعد مساعده، إلى آخر معين لهم في الاستخفاف واستعباد الناس بصورة إرهابية جماعية. والدخول إلى النار سرايا وفصائل ومجموعات.

﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادَّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفا من النار. قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾.

لقد اشتكى الضعفاء إلى الله أمر الكبراء واتضحت لهم الرؤية وهم في النار وعرفوا حقيقة أن هؤلاء قد أضلوهم فرفعوا أيديهم إلى الله معترفين بضلال من أضلهم، مطالبين بمضاعفة العذاب لهم؛ ولكن قبل أن يجيب الحق تبارك وتعالى عليهم شبَّ فريق الكبراء قائلين: **﴿فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾** وفي سورة إبراهيم **﴿فقال الضعفاءُ للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء؟ قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾**. ومعناها لو وجدنا سبيلاً لدللناكم عليه.

وفي البقرة **﴿إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا ورأوُا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كرةً فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾** [الآيتان: ١٦٦-١٦٧]. وفي الأحزاب: **﴿يوم تُقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾**.
[الآيات: ٦٦-٦٨].

حتى إذا جاءوا قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وقِفُوهم إنهم مسئولون مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾. إلى قوله ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾[1] ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾. [ابراهيم: ٢٢].

بعد أن خطب إبليس خطبته التي لم تزد السامعين الا يأسا وغيظاً؛ لم ير أتباعه سبيلا غير الصياح والابتهال الكاذب الى الله تعالى: ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ ﴿ربنا غلبت علينا شِقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾. فحينئذ يسدل الستار وتنقطع سبل التبع والمتبوعين وتنقطع عنهم الأخبار؛ فإنا لا نعلم عنهم شيئاً غير أنهم قد كُبكبوا فيها على وجوههم جاثمين فيها غدوا وعشيا ولا نعلم لهم تحركا أو تنقلا اللهم إلا تلك الرحلة؛ رحلة الأكل من شجرة الزقوم التي تنبت في قاع النار والتي طلعها أي ثمرها في سطح النار فيخرج أولئك التبع والمتبوعون إلى السطح ليأكلوا من طلع كأنه رؤوس الشياطين أي رؤوس الأفاعي وبئس الطلع

---

(١) الآيات من ٢٤ إلى ٣٤ سورة الصافات.

طعامهم؛ حتى إذا رأى خازن النار كفايتهم جرهم بالسلاسل إلى القاع وهو الجحيم ﴿إنها شجرةٌ تخرج في أصل الجحيم طلعُها كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لأكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون﴾. [الصافات: ٦٤-٧٠].

قصة موسى عليه السلام
سورة إبراهيم

- نزول الكتاب لإخراج الناس من الظلمات إلى نور الإيمان.
- أخلص سيدنا إبراهيم الدعاء لتجنب عبادة الأصنام فأجابه الله تعالى.
- الأصنام ليست هي مجرد الأحجار والأخشاب والتماثيل بل هي رموز لمعاني كفرية معينة.

قصة موسى عليه السلام

سورة ابراهيم

قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾. [الايات: ١-٥].

الفوائـــد:

ـ الآية تتكلم عن إخراج الناس من الظلمات إلى النور شرحاً لآية سورة الحديد ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النـاس بالقسط**﴾. وإخراج الناس من الظلمات هو اتباع لشرع الله في الحاكمية وابتغاء النفع والضر منه، وهو أقرب للعبد من حبل الوريد ويبدو كذلـك أن وصية موسى عليه السـلام لقومه إنما كانت بعد الخروج من استعباد فرعون لعنه الله، فموسى يوصيهم باتباع ما أنزل الله إليهم، كما يبدو أنها مقدمات لتمردهم عن شرع الله كما مر بنا في سورة الأعراف حتى رفع فوقهم الجبل كأنه ظلة وفي عقب موعظته ـ ﷺ ـ للقوم مر بهم على مصارع الغابرين وبين لهم أن عاقبة المهلكين كانت بسبب إعراضهم عما أنزل الله وعبادة غيره سواء كان ذلك في الطاعة (الحاكمية) أو في الدعاء أو الاستغاثة بالموتى والغائبين الذين لا يستطيعون جلب النفع ولا دفع الضر.

﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾.

إن الأصنام التي تعوذ منها خليل الله ـ عليه السلام ـ ليست قاصرة على تلك الأحجار والأخشاب والألواح لأن في السورة حوار الأصنام وعابديها وإنما تشمل كل نظام طاغوتي نظمته تلك الجاهلية لمحاربة الحق؛ فمحاولتها إحراق الخليل ـ عليه السلام ـ ليس ذلك عمل رجل واحد وإنما هو نظام طاغوتي متعاون لمحاربة الحق وأهله لذا نرى القرآن قد طوى الزمان وروى لنا مشهد أصحاب تلك الأفعال يوم الحشر يوم هم بارزون على النار ﴿وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينآ أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص﴾. فالأمر واضح من الحوار بين التبع والمتبوعين.

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ:

إن الشرك بالله ـ المخالف لشهادة أن لا إله إلا الله ـ يتمثل في كل وضع وفي كل حالة لا تكون فيها الدينونة في كل شأن من شئون الحياة خالصة لله وحده. ويكفي أن يدين العبد لله في جوانب من حياته؛ بينما هو يدين في جوانب أخرى لغير الله حتى تتحقق صورة الشرك وحقيقته.. وتقديم الشعائر ليس إلا صورة واحدة من صور الدينونة الكثيرة.

والأمثلة الحاضرة في حياة البشر اليوم تعطينا المثال الواقعي للشرك في أعماق طبيعته.. إن العبد الذي يتوجه بالاعتقاد لله في ألوهيته وحده؛ ثم يدين لله في الوضوء والطهارة والصلاة والصوم والحج وسائر الشعائر. بينما هو في الوقت ذاته يدين في حياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لشرائع

من عنـد غير الله. ويدين في قيمـه ومـوازينـه الاجتماعية لتصـورات واصطلاحات من صنع غير الله. ويدين في أخلاقه وتقاليده وعاداته وأزيائه لأرباب من البشر تفرض عليه هذه الأخلاق والتقاليد والعادات والأزياء - مخالفة لشرع الله وأمره - إن هذا العبد يزاول الشرك في أخص حقيقته؛ ويخالف شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في أخص حقيقتها.. وهذا ما يغفل عنه الناس اليوم فيزاولونه في ترخص وتمييع؛ وهم لا يحسبونه الشرك الذي كان يزاوله المشركون في كل زمان ومكان! (الظلال ص ٢١١٤).

ثم قال سيد: إذا رفعت (القومية) شعاراً أو رفع (الوطن) شعاراً؛ أو رفع (الشعب) شعاراً؛ أو رفعت (الطبقة) شعاراً ثم أريد الناس على عبادة هذه الشعـارات من دون الله؛ وعـلى التضحية لها بالنفوس إلى أن قال ونفـذت إرادة تلك الشعـارات - أو بالتعبير الصحيح: إرادة الطواغيت الـواقفـة وراء هذه الشعارات - كانت هذه هي عبادة الأصنام من دون الله.. فالصنم ليس من الضروري أن يتمثل في حجر أو خشبة؛ فقد يكون الصنم مذهباً أو شعارا! (المصدر السابق).

- إن الذين أشركوا من قوم إبراهيم - عليه السلام - لم يكونوا ينكرون وجود الله كما يظن ذلك كثير من الذين لا يعلمون بل كانوا كمشركي قريش يعبدون آلهة مع الله لتقربهم إليه زلفى وذكر القرآن الكريم عبادتهم لله ولغير الله في قول أبينا عليه السلام: ﴿**قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا ربَّ العالمين**﴾. فالمعنى أن رب العالمين ضمن آلهتهم؛ فبراءته عليه السلام استثنى منها رب العالمين من الآلهة المعبودة لديهم.

ولقد ركز سيد ـ رحمه الله ـ في هذه السورة على أن الأصنام تعني كل ماعبد من دون الله وهي كل طاعة و اتباع فيما لم يأذن به الله وهذا ليس بدعا من القول لأن اليهود والنصارى حين اتبعوا المشرعين، اعتبرهم الله تعالى أربابا لهم من دونه قال تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾. [التوبة: ٣١].

قال عدي بن حاتم الطائي وكان نصرانيًّا ماعبدناهم يارسول الله قال - ﷺ - «**ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فاتبعتموهم**»؟ قال بلى قال «**تلك عبادتكم إياهم**». والحديث رواه الترمذي والإمام أحمد وصححه الألباني.

وقال ابن قيم الجوزية في الإعلام: (والطاغوت كل ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع) فعلى من أراد أن يكون مسلماً عليه ان يجتنب كل مشرع وأن لا يدعو غير الله وإن كانت الغاية أن يقربه إلى الله زلفى.

قال سيد: ولينظر الناس في كل بلد لمن المقام الأعلى في حياتهم؟ ولمن الدينونة الكاملة؟ ولمن الطاعة والاتباع والامتثال؟ فان كان هذا كله لله فهم في دين الله. وإن كان لغير الله ـ معه أو من دونه ـ فهم في دين الطواغيت والأصنام.. والعياذ بالله!

هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الالباب). باختصار من الظلال (ص ٢١١٦).

قصة موسى عليه السلام
سورة الاسراء

- كتاب موسى يتضمن التوحيد وأن الله لا يقبل غيره في زمانه من كتاب.
- عزة الداعية والرد على المدعوين بما يناسب الموقف لأن العزة لله وللرسول وللمؤمنين.
- رواية القرآن لأخبار المعتدين ليتعاطف السامع مع المظلوم وتلك فطرة في الإنسان السوي.

قصــة موســى

ســورة الاســـراء

﴿وآتينـا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ .

الفوائـــــد:

١ - يخبر تعالى أنه أوصى بني إسرائيل باتباع شرعه وأن لا يتخذوا من دونه أولياء وقــد علم في الغيب المحجـوب أنهم سيتخـذون أحبـارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فهذه موعظة لهم ولغيرهم من السامعين .

٢ - **﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يافرعون مثبورا﴾** .

٣ - صورة من صور القرآن التي يودع بها الحق في قلوب العباد وهي أن يحكي قصــة عن بريء يقـدم دعوة لغيره لا يريد جزاءً ولا شكورا فيكون الرد قاسياً وجافًا وقد ثبت أن الله تعالى لما أرسل موسى قال له ترفق في دعوتك مع فرعون **﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾** .

وقد أطاع الرسول أمر ربه وجاء إلى فرعون وبلغه الدعوة ووضح له أمر ربه **﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾** . ثم شرح له الآية ومقاصدها فما كان جواب الطاغية إلا أن قال : **﴿إني لأظنك ياموسى مسحورا﴾** .

فالسامعون لأول مرة لهذه القصة يتعاطفون مع المظلوم فكلما ورد ذكره تجد التعاطف القديم يحضرهم ويكونون من مشجعيه وفي صفه، إلى نهاية القصة وهذا الميل القلبي ضرب من ضروب الولاء فإن كان إراديًّا فهو ايمان وإن كان غير إرادي فإنه يجعل صاحبه من خيار الجاهلية كما في حديث البخاري «**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**».

ـ الرد على الظالمين بما يناسب الموقف من ألفاظ وردود، لأن العزة لله وللرسول وللمؤمنين، لأن الدعوة المهينة لا يعتنقها أحد، لذلك قال موسى ـ عليه السلام ـ ﴿**لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يافرعون مثبورا**﴾.

﴿**ومثبورا**﴾ بمعنى مجنون أو مطرود من رحمة الله وقد تورع موسى من التألي على الله فقال ﴿**إني لأظنك**﴾ لم يجزم بطرد فرعون من رحمة الله.

ـ أما الحديث عن قوله تعالى: ﴿**بصائر**﴾ فقد سبق الحديث عنه في الآية ﴿**وآتينا ثمود الناقة مبصرة**﴾. من السورة نفسها والله تعالى أعلم.

قصة موسى عليه السلام

سورة الكهف

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا

﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا
لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ
لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾
۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا

٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ
عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ ﴾

قصة موسى والخضر كما في الصحيحين

عن أبي بن كعب عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله ـ عزّ وجل ـ عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى يارب فكيف لي به؟ قال: تأخذ حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فانطلق موسى ومعه فتاه (يوشع بن نون) حتى إذا آتيـا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا، وأمسك الله عن الحـوت جريـة المـاء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ـ قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به ـ فقال فتاة ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ قال فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا فقال موسى ﴿ذلك ماكنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتيها إلى الصخرة، فإذا هو مسجي بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأني بأرضك السلام! من أنت؟ قال: أنا موسى، قال موسى بني إسرائيـل؟ قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ ياموسى إني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه، فقال موسى ﴿ستجدني إن

شاء الله صابـرا ولا أعصي لك أمرا﴾ فقال له الخضر ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، أي بدون أجر، فلما ركبا في السفينة لم يفاجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾ وقال رسول الله ـ ﷺ ـ وكـانت الأولى من موسى نسيـاناً، وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر: ماعلمي وعلمك من الله تعالى إلا مثل هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله. فقال له موسى ﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئتا شيئا نكرا﴾ ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ قال سفيان: وهـذا أشـد من الأولى ﴿قـال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصـاحبني قد بلغت من لدني عذرا﴾ فانطلقا ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ فقال الخضر بيده هكذا ـ أي أشار بيده ـ فأقامه فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا ﴿لو شئت لتّخذت عليه أجرا﴾ قال الخضر: ﴿هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا﴾. رواه الشيخان.

كان أكثر ما تفيد به قصة موسى في القصص القرآني أنها تأتي لتحدثنا عن الطغيان السياسي وعبادة الحكام (الطواغيت) وأن العمل في حقولهم

وحمايتهم حماية مباشرة كفر لا يعذر صاحبه ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾. فلم يعذر الحق تبارك وتعالى من عبد فرعون عبادة طاعة وكذلك كل من كان على دأبه. أما ورودها هنا فإنها تروي لنا رحلته مع الخضر عليهما السلام فهي رحلة في طلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم. كما أنها جاءت لتكون ردًّا على الذين في قلوبهم زيغ.

والخضر عليه السلام جاءت الأحاديث الصحيحة بخبره وصلاحه واختلف العلماء في أمره منهم من قال بنبوته ومنهم من قال بولايته دون النبوة. والبعض الذي قال بالولاية دون النبوة لأنه عليه السلام لم يرد ذكره صريحاً في أسماء الانبياء؛ وهذا ليس بدليل على مادلوا عليه لأن لقمان وذا القرنين لم تصرح النصوص الشرعية بنبوتهما. ولذلك لم يسع أصحاب الشبهات في أثبات ولاية ذي القرنين ولقمان عليهما السلام لأن ولايتهما لا تخدم غرضاً من أغراضهم التي يرومونها وغاية مايريدون الوصول إليه من إثبات ولاية الخضر عليه السلام دون نبوته أن الولي يجوز له الخروج عن شريعة النبي - ﷺ -.

حتى أن مشاهير أهل الزندقة يقولون إن الولي أفضل من النبي ويفعلون مناكير الأفعال وإذا أنكر عليهم منكر قالوا له هذا ولي والأمر غير ما يتراءى إليك لأن الولي أعظم وأفضل من النبي حيث قالوا:

مقام النبوة في برزخ   فويق الرسول ودون الولي

قال القرطبي في الجامع جزء ١١ صفحة ٢٦: وقيل هو عبد صالح غير نبي والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي. وأيضاً لأن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من معرفة، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي. أهـ.

قلت إنما الخضر نبي وإن أفعاله أمام موسى ـ عليه السلام ـ ماكانت إلا وحياً يوحى كما صرحت به الآية: ﴿**وما فعلته عن أمري**﴾.

أما تأويل الذين قالوا بولايته دون النبوة إنما يريدون ليسوغوا جواز خروج الرجل عن شريعة الرسول ـ ﷺ ـ والتحلل من قيود الشرع وجميع ما رتب على ولايته كان أسباباً رئيسة في تشتيت هذه الأمة وتمزيقها، وبها صار أهل الكتاب سادتنا ورؤوس الكفر قادتنا. وسأدلل على ذلك إن شاء الله. اللهم إليك أشكو بثي وهوان دعوة الحق في زماني.

معنى قوله تعالى:

﴿**وعلمناه من لدنا علما**﴾.

جاء في لسان العرب لدن، ولدن ولدن محذوفة منها، ولدى محولة، كله: ظرف زماني ومكاني معناه عند، قال سيبويه: لدن جزمت ولم تجعل كعند، لأنها لم تمكن في الكلام تمكن عند، واعتقب النون، وحرف العلة على هذه اللفظة لاما. قال أبوعلي: نظير لدن ولدى ولد في استعمال اللام تارة نونا، وتارة حرف علة، وتارة محذوفة، ددن، وددي، ودد وأنشد:

لدى من شباب يشرى بمشيب
وكيف شباب المرء بعد دبيب

لسان العرب مادة لدن.

قال الجوهري: لدن: الموضع الذي هو الغاية، وهو ظرف غير متمكن بمنزلة عند وقد ادخلوا عليها (من) وحدها من حروف الجر، قال تعالى: ﴿**من لدنّا**﴾. قال الليث: لدن في معنى من عند تقول وقف الناس له من لدن كذا إلى المسجد ثم قال: لدن ظرف مكان بمعنى عند إلا أنه أقرب مكانا من عند وأخص منه؛ فإن عند تقع على المكان وغيره. أهـ المصدر السابق.

قلت: القرآن لسان عربي مبين أنزله الله تعالى بلغة العرب والواجب على من أراد حلاوته ونفعه أن يرجع إلى ديوان العرب حين يشكل عليه منه معنى شيء.

ومعنى الآية الصحيح ﴿من لدنا﴾ أي من عندنا والآيات كثيرة في هذا المعنى: قوله تعالى: ﴿**وهب لنا من لدنك رحمة**﴾. أي من عندك وقوله ﴿**الر كتاب أحكمت آيته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾. أي من عند حكيم خبير. وقوله ﴿**فهب لي من لدنك وليا**﴾. هب لي من عندك وليا.

﴿**آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾.

معنى الرحمة والعلم:

قال الشيخ الجكني الشنقيطي في الأضواء:

أن الرحمة تكرر إطلاقها على النبوة في القرآن، وكذلك العلم المؤتى من الله تكرر إطلاقه فيه على علم الوحي. فمن إطلاقه الرحمة على النبوة قوله تعالى في الزخرف ﴿**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك**﴾. أي نبوته حتى يتحكموا في إنزال القرآن على رجل عظيم من القريتين. وقوله تعالى في سورة الدخان ﴿**فيها يُفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك**﴾ الآية وقوله تعالى في آخر القصص ﴿**وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**﴾. الآية.

نقل الإمام القرطبي في جامعه قول الإمام أبي العباس: ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هدم الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص بل إنما يراد منهم ما يقع

في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم وقالوا وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات؛ ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر؛ فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم. وقد جاء فيما ينقلون: **استفت قلبك وإن أفتاك المفتون**. قال شيخنا رضي الله عنه: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما علم من الشرائع؛ فإن الله تعالى قد أجرى سنته، وأنفذ حكمته، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه المبينون شرائعه وأحكامه؛ اختارهم لذلك، وخصهم بما هنالك، كما قال تعالى: ﴿**الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير**﴾. وقال تعالى: ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾. وقال تعالى: ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**﴾. [الآية] إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي، واليقين الضروري، وإجماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال: إن هناك طريقاً آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر، يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه السلام الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول. وبيان

ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن مايقع فيه هو حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة. أهـ .

الجامع لاحكام القرآن (٤٠-٤١).

قصة موسى عليه السلام
سـورة طـه

- القرآن كتاب هداية لا شقاوة.
- كيف يشرح الصدر وتعريف العقل.
- انتصار الحق مهما كان ضعف الدعوة المادي وقوة عدوها الظاهرة.
- على الداعية أن يدعو بالرفق واللين.
- على الداعية أن لا يستجيب لمناورات الإحراج من خصوم الدعوة.
- ليس هنالك إكراه في شرع من قبلنا وأنها خصت به هذه الأمة.
- يأتي نصر الله في الوقت المناسب عند تجرد الداعية من حوله وقوته.

قصة موسى عليه السلام

سورة طه

لما كان الرسول ـ ﷺ ـ داعية حليماً يتبع السيئة الحسنة، اشتد عليه أذى المشركين وازدادوا تكالباً لدحض الحق الذي جاء به بالاستهزاء والسخرية وغير ذلك من أنواع العناد والتصدي، لأن السخرية بالحق لا يحتملها البشر، فهي تغلي كما تغلي الغيرة على العرض. ولما برح هذا الاستهزاء بالرسول ـ ﷺ ـ وهم بالدعاء عليهم فدعا عليهم، أمره الله تعالى بالصبر كما جاء في آيات كثيرة منها: ﴿**واصبر على ما يقولون**﴾. وقوله: ﴿**فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**﴾. وقوله: ﴿**واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور**﴾. وقوله: ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾ وحول هذا المقصد نزلت ﴿**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿**وهل أتاك حديث موسى**﴾.

الفوائـــد:

طه في كلام العرب نداء التكريم ياسيّد أو ياعزيز.

قال الشاعر:

إن السفاهةَ طه من شمائلكم
لا قدّس الله أرواح الملاعين

نداء التكريم كما سبق ذكره وتفصيلاً لما سبق من تمهيد نقول إن صبره ـ ﷺ ـ حين كثرت إهانة المشركين للحق وأتباعه وما عانوه من مشقة الدعوة فقال له: ﴿**طه**﴾ أي ياسيد ﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن**

يخشى﴾. حتى قولـه تعـالى: **﴿وهـل أتاك حديث موسى﴾**؟ هل أتاك حديث موسى الذي ألقي في اليم وفؤاد أمه فارغاً؟ وأنت تولد في أحضان أهليك وهم فرحون بمولدك؟ وهل أتاك حديث موسى الشريد الغائب عن وطنه عشرة أعوام؟ وأنت بين أهليك! وهل أتاك حديث موسى إذ قتل من قومه نفسا بغير نفس واتهم بالإجرام؟ وأنت اشتهرت بين قومك بالصادق الأمين! وهل أتاك حديث موسى الوضيع الذي هو من أرذل القوم بميزان الفراعين الجائر، وأنت من أشراف الناس من ولد إسماعيل؟ ألم تر كيف كانت رعايتنا لموسى وهو في التابوت حتى ألقيناه جوار بيت الطاغوت، فالتقـطه ليربيه في قصره ورعيناه بأعيننا حتى دمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون؟؟ فحينئذ تتضاعف القوة الإيمانية في قلب المصطفى الأمين - ﷺ - وأصحابه الكرام وذاك قوله تعالى: **﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾**.

﴿رب اشرح لي صدري﴾:

هو طلب الهدى ونور القلب الذي يمشي به في الناس ويبصر به الأمور بحكمة، وشرح الصدر هو تفجير الأنوار الربانية التي يرقى بها العبد إلى مراتب الأولياء، ويسير بها على موكب الأنبياء فيبلغ دعوته؛ لأن الصدر مكان العقل والقلب ومصدر وموضع الحكمة كما في حديث البخاري: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب**».

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

(في الصدر اعلم أنه يجيء والمراد منه القلب **﴿أفمن شرح الله صدره**

للإسلام﴾ ﴿رب اشرح لي صدري﴾ ﴿وحُصِّل مافي الصدور﴾ ﴿يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور﴾. وقد يجيء والمراد الفضاء الذي فيه الصدر ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾. واختلف الناس في أن محل العقل هل هو القلب أو الدماغ وجمهور المتكلمين على أنه القلب. (قال بعضهم المواد أربعة الصدر والقلب والفؤاد واللب.. فالصدر مقر الإسلام ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ والقلب مقر الإيمان ﴿ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾. والفؤاد مقر المعرفة: ﴿ماكذب الفؤاد مارأى﴾ ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾، واللب مقر التوحيد ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾. (مجلد ١١ ص ٤٥).

ـ ﴿أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليمِّ فَلْيُلْقِه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيتُ عليك محبةً مني ولتصنع على عيني﴾. فيها تنبيه للدعاة أن الله تعالى سيرعاهم ودعواتهم كما رعى موسى؛ وأن الخطر مهما كبر في عين الإنسان فإنه في عين الله ليس بشيء وما البلاء إلا خير مدخر للدعاة ولكن أكثرهم يستعجلون ويقدمون بين يدي الله المدبر الرحيم. فلو أن كل داعية توكل على الله في كل أمره لما أصابه من الطاغوت شيء لأن مؤمن آل فرعون الذي يكتم إيمانه قد بلغ دعوته أمام طاغوت لا يقل جبروته عن طواغيت زمانهم لكن الله أنجاه من بأسه لقوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾. [سورة غافر: ٤٥].

- ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾.

الأمـر يفيد الـوجـوب على الداعية كما كان أمراً لموسى وأخيه عليهما السلام؛ فعلى الداعية أن يبلغ الدعوة برفق ولا ينتقم لنفسه بل عليه بالرفق كما جاء في حديث البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**ياعائشة ماكان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه**».

- ﴿الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى﴾.

على الـداعية أن يبين الحق ويوضح الشيء الصحيح ولا يهاجم آلهة المشركين؛ وهنا نرى كيف بدأ موسى ببيان الدعوة دون أن يسب آلهتهم فيسبوا الله عدواً بغير علم؛ كانت إجابته لسؤال فرعون: ﴿**قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾. يعني أن ما من شيء إلا استمد وجوده من صنعه وإن كل صورة من صور الموجودات من أفلاك ومخلوقات من ذوات الأرواح وغير الأرواح لا تتحرك إلا بأمره، وحركتها مقدرة بتقديره المحكم فهو ربنا الذي ألهم الطفل بعد خروجه وهو لين يبحث عن الثدي فإذا وجـده رضـع حتى إذا ارتوى نأي وهو الذي يلهم النمل بمواضع الرزق وهو الذي يلهم البشر بكيفية كسب العيش وتسهيل مقومات الحياة وسخر لهم ما إن أرادوا أن يحصوه ما استطاعوا.

- ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾؟

لما عرف فرعون الدعوة وأن ما سوى دعوة موسى كفر بالله وأنهم بهذا التعريف جميعهم كفار فأراد فرعون أن يسأل هل يجري هذا الحكم على أجدادهم والقرون الأولى بمعنى الأمم السابقة. فعلى الداعية أن يكون حصيفا فقيها وأن لا يصدر الحكم بالكفر أو بالإيمان إلا على من له علم

به . فليجب بقوله تعالى حين رد شبهة مشركي جزيرة العرب بقوله تعالى :

﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ .

ملاحظـــــة :

بما أن فرعون لم يكن له قلب ولا بصيرة إلا أنه قد فهم مقصد الآية السابقة وأن من خالفها يكفر لذا كان يسأل عن حكم السابقين وأما إخوان فرعـون المعاصرون فهم لم يفهموا فهم إمامهم الذي يعضون على سنته السيئة بالنواجذ **﴿وجعلناهـم أئمة يدعون إلى النار﴾** .

﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾ .

إشارة لوجود السحر الذي نزل به الملكان ببابل هاروت وماروت إذ كانا لا يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، وأن العمل بالسحر كفر منذ النزول به .

إشارة أيضاً إلى أن الأمم الذين من قبلنا لم يرفع عنهم في شرعهم ما استكرهوا عليه كما قلنا ، لكن فضل الله علينا بنبي الرحمة - ﷺ - إذ قال : «**رفع عن أمتي النسيان والخطأ وما استكرهوا عليه**» . والحديث رواه الإمام أحمد ومثل الحديث المذكور آية النحل :

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ .

وقد أوردنا في شرح سورة غافر أدلة من السيرة النبوية بجواز الإكراه وقول الأقوال الكفرية للمصلحة العامة والمنفعة الخاصة .

﴿**إنه من يأت ربَّه مجرما فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى**﴾.

مقالة السحرة المؤمنين أنه من يأت ربه مجرما أي كافراً أو مشركاً فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وهذا في شرعنا تشرحه الآية: ﴿**إن الله لا يغفـر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء**﴾. [النساء]. وكذلك التصريح في قولتهم إن عصاة الموحدين يدخلون الجنة ولو بعد حين ﴿**ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن**﴾. [الآية].

﴿**فأتبعهم فرعونُ بجنوده فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم وأضلَّ فرعون قومه وما هدى**﴾.

فأتبعهم فرعـون بجنـوده؛ لم يتبعهم بمفرده لأن أجبن أهل الأرض الطواغيت، إذ يستمدون النفوذ والشجاعة واصطناع البطولات بمن يؤمن بهم ويكفر بالله، فلو أن فرعون اتبعهم بمفرده لقضى عليه اثنان أو ثلاثة من بني إسرائيل دون أن يتدخل موسى عليه السلام، لأن وكزته الواحدة لا تبقي ولا تذر؛ ولكن هذا هدي الطاغوت وسبيله في استخفافه بالأعوان إذ يقسم لهم من النفوس والمتاع من رتب ورواتب ومسميات، فتنسيهم المصير المحتوم، فيقاتلون في سبيله ويموتون من أجل نظامه ﴿**وقد أمروا أن يكفروا به ويريدُ الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا**﴾. وقد كانت دعوة الـرسـل جميعـاً ﴿**ولقـد بعثنـا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾. [النحل: ٣٦].

فهذا فرعون يضل قومه ليتبعوا بني إسرائيل الذين آمنوا من أتباع موسى عليه السلام فيضلهم، والجند أولئك، منهم من يجهل ومنهم يحب الحياة

الدنيا على الآخرة ومن يقول: «دحنا عايزين ناكل عيش» ولكن ما المصير وما حكمهم؟؟ هذا هو المصير نار جهنم كما ذكر السحرة؛ فلم يكن جهلهم عذراً يدرأ عنهم العذاب ولم يك جمع المال أو العيش مبرراً لطاعة الطاغوت بل إنهم كانوا ﴿**يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**﴾. وقول الله تعالى: ﴿**وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾ حكم الله تعالى عليه بالضلال؛ وكذلك كل من نحا نحوهم حتى إذا وقفوا على النار وكبوا فيها على وجوههم صاحوا ﴿**وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا**﴾. وسبق الحديث عن التبع والمتبوعين في سورة هود في قوله تعالى: ﴿**يقدُم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود**﴾. [هود، الآية: ٩٨].

موسى عليه السلام

سورة النمل

قال تعالى:

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ
وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن
لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا
جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ
سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ

مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

الفوائـــــد :

ـ جاءت الآيات لتشرح للسامعين أن آيات الله هي هدى وبشرى مطلقة للمؤمنين بالآخرة ثم أثنى الحق تبارك وتعالى على أولئك ووصفهم بأنهم أصحاب اليقين. ثم ذكر خصومهم من أعداء الدعوة حتى يردع المشركين المعـانـدين لأتبـاع الـرسول ـ ﷺ ـ وذكر مصيرهم. كانت تلك مقدمة للمقارنة بين أصحاب اليقين وأعدائهم ثم عقبت بقصة موسى وفرعون وما جاءهم من الآيات المبصرة لكنهم جحدوا بها ﴿**واستيقنتها أنفسهم**﴾ أي عرفتها يقينا لكن الهوى ومطامع النفوس والكبرياء وحب العاجلة جعلهم يجحدون بها لما جاءتهم ﴿**قالوا هذا سحر مبين**﴾ فأنذرت الآيات بالوعيد حتى يقارن الكفار أنفسهم بمصير آل فرعون لأن ظرف مشركي جزيرة العرب كان أشبه بظرف آل فرعون، لأن الوليد بن المغيرة قال ماهو بشاعر لأني أعرف الشعر. ولكن لكي يميع القضية التي تتعارض مع هواه وأهواء قومـه **قالوا هذا سحر مبين**﴾ كما قال آل فرعون. . والرابط بين الآيات بدأت بأثر الآيات في الصالحين ﴿**وهم بالآخرة هم يوقنون**﴾. وانتهت قصة آل فرعون باستيقانهم بصحة الآيات المبصرة مع الجحود ﴿**واستيقنتها أنفسهم**﴾ ففيها فائدتان **الأولى** لينظر الكافرون مصير من فعل ذلك، **ثانياً** سلوى للرسول ـ ﷺ ـ وأصحابه أن الباطل مهما استفحل فإن مصيره أن يكون مجرد تاريخ وذكرى ﴿**لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾.

والله تعالى أعلم.

قصة موسى عليه السلام
سورة القصص

- الطواغيت يتبعون سياسة (فرق تسد) للسيطرة على الشعوب.
- وعد الله بتمكين المؤمنين قائم والله لا يخلف الميعاد.
- المستضعفون لا عذر لهم في عبادة الطاغوت في حالة الرضا.
- الدعاء سلاح المؤمن عند ضيق الحال.
- الاستكبار يأتي مع الباطل، ومع الحق السماحة واليسر.
- على الدعاة أن يوطنوا أنفسهم على البلاء ومفارقة الأهل والأوطان.

قصة موسى عليه السلام

سورة القصص

قال تعالى:

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ
وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ
أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ
وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ
إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ
عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾

الفوائـــد:

١ ـ كشف مكـر قديم تصنعه الطواغيت وهو تقسيم المحكومين أحزاباً وشيعـاً حتى ينشغلوا بسفـاسف الأمـور ويتركـوا معـاليها وليعادي بعضهم بعضـا في أشياء تشغلهم عن حريتهم ومصير إنسانيتهم، وبـذلـك يزول كل خطر سياسي من وجـه الطاغوت فيثبت عرشه الزائف الواهن.

٢ ـ إن وعد الله بالتمكين للمؤمنين لا محالة كائن وأنه تعالى موهن كيد المجـرمـين مهما علت الطواغيت في الأرض ومهما تجبروا وأعجبتهم قوتهم وفعلوا مافعلوا من الحـذر والاحتياط وأنـه تعالى يكشف عن حذرهم الذي لا يقيهم من قدره. وأنه تعالى يذكر أخبارهم ليتعظ إخوانهم المجرمون من بعدهم وينتفع بها المؤمنون المستضعفون من بعدهم، ﴿**ونُري فرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يحذرون**﴾.

٣ ـ أنـه لا عذر لمن عبد الطاغوت على الرغم من أن كبراءهم يحملون أوزارهم إلا أن ذلك لا ينقص من أوزارهم شيئاً وأنهم في العذاب مشتركون.

٤ ـ على الداعية أن يلجأ إلى الدعاء وأن لا يستيئس فإنه لا يرد القضاء إلا الـدعاء كما أن الدعاء يأتي بالأنس ويضيق على الكرب الطرقات ويستـأذنـه بالذهاب عن الداعية. ولما اعتدى مشركو الطائف على النبي ـ ﷺ ـ وآذوه، واجتمع عليه قهر الرجال والجوع فدعا ربه «**رب إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني**». إلى آخر الدعاء فجاءه عداس بطبق من عنب وآنس وحشته.

فهذا موسى ـ عليه السلام ـ شريد جائع لا يجد ما يسد به رمقه ولا مأوى يقيل فيه غير ذلك الظل المؤقت فدعا ربه ﴿**قال رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير**﴾. فاستجاب الله له، وجاءت إحدى البنتين اللتين سقى لهما تدعوه لمقابلة أبيهما الذي زوجه إحداهما وآواه ولا أظن أن هناك مأوى آنسُ للرجل في الدنيا من أن يجد أهل بيت يرحبون به ويزوجونه ويرضون بخلقه ويقترحون له المصاهرة ابتغاء مجاورته. ذاك كله من فضل الله بالدعاء واللجوء إلى الله القريب المجيب.

ـ لما اشتد طغيان أعداء الكفر من قريش على الجماعة المسلمة المستضعفة أراد الله تثبيت المؤمنين وذلك بذكر شيء قليل من رعايته لمن آمن به مبيناً أن عينه معهم وقوته التي فوق كل قوي لن تتدخل حتى تستبين سبيل المؤمنين من سبيل المجرمين؛ بمفاصلة المؤمنين أعداءهم.

(.. إن الشر حين يتمحض يحمل هلاكه في ذاته؛ والبغي حين يتمرد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر؛ بل تتدخل يد القدرة[1] وتأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم؛ فتنقذهم وتنقذ عناصر الخير فيهم؛ وتربيهم؛ وتجعلهم أئمة وتجعلهم الوارثين. الظلال (ص ٢٦٧٦).

﴿**ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**﴾.

ـ على الداعية أن يتوقع حياة الخشونة وزوال النعيم وأن يصبر على البلاء لمصلحة الدعوة لأن ذلك تأهيل يكتبه الله تعالى على الداعية كما كتبه على

(١) وقال صاحب الظلال رحمه الله ص ١٩٤٧ (إنَّ يد الله سبحانه لم تتدخل لتدمر على الظالمين إلّا بعد أن فاصلهم المسلمون).

موسى ـ عليه السلام ـ الذي يعيش في قصر فرعون وفجأة يصبح مطارداً ثم يستقر أمره على الرعي والسقاية مقابل زوجة تزيده ارتباطا بهم؛ ولا شك أن شرط النكاح وهو ثمانية حجج أو عشر هو عين المشقة لكن قال شعيب عليه السلام ﴿**وماأريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين**﴾. حقًّا كان شعيب عليه السلام أبا رحيماً بموسى عليه السلام لكن الأمر من الله على أن يمكث موسى هذه الفترة حتى يبلغ سنّ النبوة وينسى الفراعنة قتيلهم وكذلك يستوي موسى ويخشوشن لمواجهة المحن وفتن الدعوة فذاك هو قصد شعيب عليه السلام ﴿**وما أريد أن أشق عليك**﴾ وإن كانت هذه السنين هي عين المشقة يابني. لكني مافعلت هذا عن أمري والذي دعاني لأزعم أن هذا من الوحي لأن هذا الشيخ الكبير لا يملك على قومه سلطانا ولا اعتبار له عندهم بدليل أن بناته لا يسقين حتى يصدر الرعاء أي أنهم لا يحترمون هاتين المرأتين الكريمتين أنى له من القوة أن يقول لموسى ﴿**فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوتَ من القوم الظالمين**﴾. فالأمان هنا من الوحي. وقال بعض المفسرين لما جاء موسى لشعيب عليهما السلام حكى له قصته منذ صغره حتى ساعة وقوفه أمامه فعرف نبوته وعرف أن الله سيجعل له شأناً عظيماً لذلك بشره بالأمان. والله أعلم.

ـ ﴿**واستكبر هو وجنود في الأرض بغير الحق..**﴾. [الآية].

يعلم من هذه الآية الكريمة بعض أسباب ضلال آل فرعون وأن الله لم يهدهم لاستكبارهم لأن الكبرياء أول خطيئة وقعت من إبليس ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر**﴾. وقال تعالى:

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾. [الأعراف الآية: ١٤٦].

ـ على الداعية أن لا يضعف أمام تأثير حب مسقط الرأس وما يرتبط به من ذكريات مهما كان التأثير والحنين. ولما حن رسول الله ـ ﷺ ـ إلى مسقط رأسه مكة المكرمة ذكره الله تعالى بقصة موسى وحرمانه عشرة أعوام ثم وعده بالعودة إلى مكة بقوله تعالى: **﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد..﴾**. الآية. قال السيوطي: إلى معاد: إلى مكة وكان قد اشتاقها. (تفسير الجلالين). وعن عبدالله بن عدي بن حسراء رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ على الحزورة ويقول فقال: **«والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولو لا أني اخرجت منك ما خرجت»**. رواه الإمام احمد والترمذي وروى الترمذي وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لمكة: **«ما أطيبك من بلد وأحبك إلي؛ ولو لا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك﴾**.

قصة موسى عليه السلام
سورة غافر

- الطاغوت يسمي الأشياء بغير اسمها ويلبس على الأمة بالإعلام الكاذب.
- الطاغوت يخوف أتباعه بأن الدعاة سيبدلون وجه الحياة فيفسدونها، يمنعون الربا فينهار الاقتصاد، ويمنعون النوادي الليلية فيعم الاكتئاب، ويفرضون الحجاب فيقل الإنتاج، ويمنعون المرأة من الخروج فتتعطل الحياة الخ . . .
- عندما يؤدي الداعية دوره كاملاً يتجرد ويستعين بالله وحده ويعتمد عليه لا على سواه وهذا معنى تجريد التوحيد.
- كتمان الإيمان لمن لا يستطيع مواجهة الباطل.
- اتقاد جذوة الإيمان عند استفزاز الجاهلية للمؤمنين.
- فرعون دكتاتور مستبد وهو صاحب الحاكمية العليا عليهم وما يراه هو الرشد لا غيره.
- إن الله يدافع عن الداعية.
- خبر سلسلة الرسل واصل إلى آل فرعون من قبل موسى عليه السلام.
- بقية من خبر يوسف عليه السلام.
- إثبات عذاب القبر.

قصة موسى عليه السلام

سورة غافر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي
يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ
مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ
أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ
يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ
وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ
ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ

دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾
۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ
لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

الفوائــــد:

١ ـ نظام الحكم الجاهلي يسميه أصحابه ديناً حين خاف فرعون تبديل دينه ذلك بدين مخالف ﴿**إني أخاف أن يبدل دينكم**﴾

٢ ـ جواز كتمان الرجل إيمانه على أهل الكفران ومخادعتهم بالعبارات التي يفهم من ظاهرها موافقتهم شريطة أن يعلن إيمانه لجماعة المسلمين لمصحلة الدعوة والدعاة في حدود القول لا العمل، فإنه لا إكراه في العمل كما قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم.

شواهد على جواز كتمان الرجل إيمانه:

أ ـ قصة نعيم بن مسعود الأشجعي حين جاء للنبي ـ ﷺ ـ وقال له إني أسلمت وقومي لا يعلمون بإسلامي، قال له **إن استطعت خَذِّل عنا المشركين**. فذهب إلى قبائل اليهود الثلاثة وإلى مشركي قريش وقال لهم كلمات كأنه يريد نصرتهم من النبي ولكن كلماته أوقعت بينهم الفتنة

ب ـ قصة الحجاج بن علاط السلمي الذي أسلم بخيبر واستأذن النبي ـ ﷺ ـ بالذهاب إلى مكة ليجمع أموالاً له بها، فجاء وقال للمشركين الذين ينتظرون لحظة يشمتون فيها بالدعوة المحمدية الثائرة فقال لهم: أبشروا إن صاحبكم محمداً قد أسر وهرب أصحابه فاجمعوا لي مالي لعلي ألحق بسوق خيبر وكان تاجراً ففرحوا وجمعوا له أمواله وذهب، فلما عرفوا خدعته لهم قالوا عدو الله..

٣ ـ خبر سلسلة الرسل واصل إليهم لقوله تعالى ﴿**مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم**﴾.

٤ ـ إن دعوة يوسف عليه السلام ونبوته كانت باقية فيهم فطال عليهم الأمد وظنوا أن لا نبي من بعده **﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا﴾**.

٥ ـ التخويف بعذاب القبر **﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾**.

٦ ـ الكبر من مضلات الفتن الموجبة للعن **﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾** أي كذلك وبهذه المماحكات يسلك الله الضلال في قلوب المتكبرين فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب فإذا رأوه قالوا آمنا وأنى لهم ذلك.

قصة موسى عليه السلام
سورة الزخرف

- الطواغيت يفتخرون بقدرتهم المادية.
- الطواغيت يسخرون من ضعف الدعاة.
- الطواغيت تغلب عليهم المادية لذا يطلبون الشواهد الحسية.

قصة موسى عليه السلام

سورة الزخرف

قال جل شأنه: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾. [الزخرف: ٥١ ـ ٥٦].

الفوائـــد:

ـ اتباع أهل الباطل والسكوت على سخريتهم بالدعاة وبالحق فسوق. في أهل كل زمان يكون الحكم فيهم بغير ما أنزل الله أو بالغلو في الأضرحة والـذبـح لغـير الله وبناء المساجد عليها واتخاذ النفع والضر فيها يفعلها المشركون من قادة الضلال ويسكت عنها العالمون.

روى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: **«مامن نبي ولا رسول إلا كان معه حواريون يتبعونه ويهتدون بسنته ثم بعد ذلك أمراء يغـيرون السنن ويـظهـرون البدع فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**.

ولمسلم: **فمن أنكـر فقـد برىء ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتـابع**.. وإن كان الحديث الأخير في حق أهل الجور وحكام المسلمين الظالمين ليس في حق الطواغيت لكن أردت منه فائدة من أنكر أو كره. وعند أهل العلم شروط لمن أنكر أو كره وهو أن لا يشارك في الباطل ولا يعين عليه..

خبر مجموعة من الرسل تشترك فيه الموعظة

سورة الانبياء

قال تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً
مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ
إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ
وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ
رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ
يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

الفوائـــــد:

- بالـدعـاء والتضرع إلى الله تعالى تنفرج الكرب وتتفتت قلاع الحزن الكئيبة التي تحيط بالداعية، وبه يبدل الله كل ترحةٍ فرحة. فهؤلاء الرسل عليهم السلام قد دعوا مخلصين في التضرع فاستجاب لهم فور الدعاء.

فمنهم من كشف عنه الضر ومنهم من أنجاه من كيد قومه، ومنهم من أنجـاه من بطن الحوت، ومنهم من أصلح له زوجه ورزقه ذرية صالحة

بعضها من بعض. ثم أثنى الحق تبارك وتعالى عليهم بدعائهم له فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين**﴾. جاءت أحاديث كثيرة تدل على فضل الدعاء منها حديث المسند: «**الدعاء هو العبادة**». وروى أيضاً ـ رحمه الله ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما يعجل له دعوته، أو يدخرها له يوم القيامة، أو يصرف عنه من السوء أمثالها**».

والدعاء من العبادات التي يحبها الله تعالى ويستجيب له من المسلمين ومن المشركين كما رأينا ذلك في القرآن الكريم يرسل العذاب على المشركين حتى يتضرعوا فيكشف عنهم العذاب ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**﴾. وبالدعاء يكشف الله الضر لقوله تعالى: ﴿**ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم**﴾. الآية. وقوله: ﴿**ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**﴾.

قصة يوسف عليه السلام
سورة يوسف

- رد العلم إلى الرب لا إلى النفس.
- قبل الدخول في إجابة السؤال عن الرؤية مهد بالدعوة للتوحيد.
- الانتساب إلى موكب الرسل.
- نفي الربوبية والقوامة عن غير الله.
- نفي الحاكمية عن غير الله.
- إثبات أن توحيد الحاكمية أساس الدين.
- معنى كلمة الدين.

قصة يوسف عليه السلام

﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

الفوائـــــد:

ـ إن صفات الداعية أن يكون ذا إحسان ويتحلى بسمو الأخلاق وعلو النفس والاستقامة التي تكسو صاحبها ثوب الهيبة والعز. ﴿**إنا نراك من المحسنين**﴾ فيظن الناس الخير فيه بامتثاله، وجزاء المحسنين عند الله الرفعة والكرامة.

ـ استهلال الحديث بحمد الله ـ تعالى ـ والثناء عليه ﴿**ذلكما مما علمني ربي**﴾ أي شكراً له كما أمر بذلك رسولنا عليه الصلاة والسلام ﴿**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير أما يشركون**﴾ ثم يفصل مصدر هذا الفضل وأسبابه: إني دنت لله بدينه الذي ارتضى لي وإني أعبده

وحده وأسأله الخير بلا واسطة وما يتراءى علي هو من فضل الله العظيم الذي لا أعبد سواه.

ـ تشخيص الداعية لمرض مجتمعه وتحديد زاوية الانحراف والبراءة من باطلهم ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾.

البراءة من باطل القوم والحكم على أفعالهم بالكفر وأنهم يكفرون بالله وباليوم الآخر إذا دعوا غير الله أو حكموا بغير ما أنزل إليهم. قال صاحب مختصر السيرة (وأما الكفر بالطاغوت الذي أمرنا به فهو اعتقاد بطلان عبادة غير الله وتكفير أهلهٔ ومعاداتهم).

شاهد من السيرة النبوية في البراءة

قصة الجعد بن درهم:

كان من أشهر الناس بالعلم والعبادة، فلما جحد شيئاً من صفات الله - مع كونها مقالة خفية عند الأكثر - ضحى به خالد بن عبدالله القسري يوم الأضحى فقال: ياأيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحايكم فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم، فإنه زعم ان الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليما».

ثم نزل فذبحه ولم يعلم أن أحداً من العلماء أنكر ذلك. بل ذكر ابن القيم إجماعهم على استحسانه فقال:

شكر الضحية كلُّ صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان[1]

ذكر صاحب المختصر بناء على ماجاء في هذه الحادثة أن الذي لا يكفر الكافر فإنه يكفر. أهـ .

والبراءة من المشركين منهج الرسل في الدعوة لذا بدأ بها يوسف الصديق عليه السلام بل أرادها أن تجي من بعده سنة حسنة فقال: ﴿**هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ .

(١) مختصر سيرة الرسول - ﷺ - للشيخ محمد بن عبدالوهاب صفحة ٢٩ دار القلم. . خالد القسري هو: أبويزيد وأبو الهيثم خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبدالملك الأموي، ولي مكة سنة تسع وثمانين للهجرة. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٢/ ٢٢٦) لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ).

ـ إنه مع ترك ملة أهل الباطل لابد من اتباع الحق إذ لايجوز اعتزال أهل الباطل دون تمسك بأصول الحق لذا قال ﴿**واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب**﴾. [الآية].

اتبع ملة إبراهيم إذ للناس في اتباعه عليه السلام أسوة حسنة.

ـ ابتداء نقاش الدعوة بالتوحيد ﴿**ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**﴾. كما أمر رسولنا ـ ﷺ ـ.

﴿**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون**﴾.

ـ تحديد أنواع العبادة أولها دعاء غير الله الذي لم يأذن به الله قال الله تعالى: ﴿**ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم**﴾.

ـ النوع الثاني من العبادة وهو حكم الله في ﴿**إن الحكمُ إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم**﴾.

ـ الدين القيم هو الدين الذي لا يقبل الله سواه من العباد ﴿**ذلك الدين القيم**﴾.

ـ عدم العذر بالجهل في المعلوم من الدين بالضرورة ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ أي أكثر الناس لا يعلمون بهذه الأشياء التي ذكرتها وذكرت ضلال أهلها وأنهم يكفرون بالله وبالآخرة.

ـ إن التحاكم إلى غير شرع الله كفر مخرج عن الملة كما جاء في سورة النساء ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً**﴾. لذا جنب الحق تبارك وتعالى يوسف عليه السلام التحاكم إلى الطاغوت، بعد أن سأل إخوته عن عقوبة

السارق بقوله ﴿فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ فأجابوا بالعقوبة الموجودة في دين يعقوب عليه السلام فقالوا من وجد في رحله فهو جزاؤه أي يسترق ﴿كذلك كِدْنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾. ودين الملك حكمه ونظامه كما قال ابن جرير الطبري.

والآيات الواردة أن الدين يأتي بمعنى النظام في القرآن كثيرة منها قوله تعالى:

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾. أي في نظام الله ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين﴾. وقوله: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾. وقوله: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾. [الشورى: ١٣].

ـ إثبات نسبة من الإيمان عند أهل الكفر والشرك وأنهم يؤمنون بالله ويشركون معه آلهة لتقربهم إليه زلفى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾. وأمثال ذلك من القرآن الكريم كثير كقوله ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾. [غافر: ١٢]. ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾. والشرك من الشراكة وسميت الشركة بذلك لأنها تقوم على مشاركة الشركاء.

هذا وصلى الله وسلم على خير خلقه وصفوته محمد بن عبدالله وآله.

المراجع والمصادر

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي. الإمام محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، دار القلم بيروت.
(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن، لإمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر.
(٥) تفسير القرآن العظيم. لابن كثير الدمشقي.
(٦) تفسير مفاتح الغيب (التفسير الكبير) محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري. دار الفكر.
(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار إحياء التراث العربي بيروت.
(٩) مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية.
(١٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. للعلامة محمد الأمين المختار الجكني الشنقيطي المطابع الأهلية للأوفست الرياض.
(١١) تفسير في ظلال القرآن. سيد قطب. دار العلم والطباعة بجدة.
(١٢) التصوير الفني في القرآن. سيد قطب.
(١٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، . الأستاذ عبدالكريم الخطيب دار المعرفة بيروت.

(١٤) الإعجاز في دراسات السابقين. عبدالكريم الخطيب. دار الفكر العربي.
(١٥) اللغة الشاعرة عباس محمود العقاد.
(١٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. البروفيسور عبدالله الطيب دار جامعة الخرطوم الطبعة الرابعة.
(١٧) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. الأستاذ أحمد الهاشمي. دار الكتب العلمية بيروت.
(١٨) القصص القرآني للدكتور عباس حسن فضل. دار الفرقان عمان الأردن.
(١٩) القصة في القرآن الكريم. للدكتورة مريم عبدالقادر السباعي، مكتبة مكة لتوزيع المطبوعات.
(٢٠) فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي.
(٢١) لسان العرب. لابن منظور. دار المعارف القاهرة.
(٢٢) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي.
(٢٣) الإتقان في علوم القرآن. الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي دار التراث القاهرة.
(٢٤) تاريخ الأدب الجاهلي. الدكتور عمر فروخ.
(٢٥) كتاب الحيوان. لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ دار إحياء التراث العربي بيروت.
(٢٦) إعجاز القرآن. للإمام ابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني مؤسسة الثقافية.

(٢٧) سيكولوجية القصة في القرآن الدكتور تهامي نفرة الشركة التونسية للتوزيع.
(٢٨) تاج العروس. محمد مرتضى الزبيدي. طبعة الكويت.
(٢٩) سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مؤسسة الرسالة.
(٣٠) الكشـاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري. دار الفكر.
(٣١) البداية والنهاية لإبن كثير.
(٣٢) السيرة النبوية لابن هشام.
(٣٣) تفسير المراقي.
(٣٤) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.
(٣٥) دعاة على أبواب جهنم. يوسف حامد الفكي. مطابع أطلس بالرياض.

فهـرس الكتـاب

الموضوع — رقم الصفحة

المقدمة ٥
لمحات عن نشأة اللغة العربية ونضوجها قبل البعثة ١٣
أقوال بعض العلماء في تكرار القصة في القرآن ٢٠
قول الجاحظ في كتاب الحيوان ٢٠
قول الإمام محمد الخطيب الإسكافي ٢٠
قول الإمام الباقلاني ٢٠
قول الإمام الرازي في التفسير الكبير ٢١
قول الإمام الزركشي في البرهان ٢١
قول الأستاذ عبدالكريم الخطيب ٢٢
قصة ثمود في سورة الأعراف ٢٤
قصة عاد
في سورة الأعراف ٢٦
في سورة الأحقاف ٢٩
قصة عاد وثمود
في سورة فصلت ٣١
قصة نوح عليه السلام ....
في سورة الأعراف ٣٤
في سورة هود ٣٧

في سورة المؤمنون ٤٣
في سورة نوح ٤٩
قصة بني إسرائيل
في سورة البقرة ٥١
في سورة آل عمران ٥٤
في سورة الأعراف ٥٨
في سورة التوبة ٦٠
في سورة طه ٦٦
قصة إبراهيم عليه السلام
في سورة البقرة ٧٠
في سورة مريم ٧٣
في سورة الأنبياء ٧٦
في سورة الممتحنة ٨٠
قصة موسى عليه السلام
في سورة الأعراف ٨٣
في سورة يونس ٨٧
في سورة هود ٩٢
في سورة إبراهيم ٩٧
في سورة الإسراء ١٠٢
في سورة الكهف (رحلته مع الخضر عليهما السلام) ١٠٥
في سورة طه ١١٥

في سورة النمل ١٢٣
في سورة القصص ١٢٦
في سورة غافر ١٣٢
في سورة الزخرف ١٣٨
خبر مجموعة من الرسل
تشترك فيه الموعظة (سورة الأنبياء) ١٤١
قصة يوسف عليه السلام ١٤٣
في سورة يوسف ١٤٤
شاهد من السيرة النبوية ١٤٦
المراجع والمصادر ١٤٩
فهرس الكتاب ١٥٣

فسح وزارة الاعلام
رقم ٤٠٦١/ م
تاريخ ٢٨ / ٥ / ١٤١٣هـ

الجمع التصويري والإخراج ـ الفرقان ٤٠٢٩٨٦٥ ـ ٤٠٤٣٧٣٢